



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الحراك الشعبي في الغرب الإسلامي بواعثه، تجلياته، تداعياته

مذكرة مكّلة لمتطلبات نيل شهادة الماستر
تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي

إشراف الأستاذ:
لخضر بولطيف

إعداد الطالبتين:
سارة عجنق
حنان بلجبري

السنة الجامعية: 1440-1441هـ / 2019-2020م



الإهداء :

نهدي خلاصة جهدنا إلي اللذين قال فيهما الله تعالى:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا،

إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا،

فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾

[الإسراء : 23]

إلى أغلى ما في الوجود الوالدين الكريمين حفظهما الله

إلى القامات العلمية التي كانت بمثابة

المعالم الهادية والمنارات المرشدة

□ إلى درب مسيرتنا العلمية.

الشكر والعرفان:

بداية الشكر لله عز وجل القائل في محكم تنزيله: ﴿لَيْنْ شَكْرُكُمْ
لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، فبفضله خرج هذا العمل إلى النور.

ثم نتقدم بخالص الشكر والعرفان لمشرفنا القيم على عملنا الأستاذ:
لخضر بولطيف، نظير ما أبداه حيالنا من سعة صبر وتشجيع،
وتعهده لنا بالتوجيه والإرشاد.

والشكر موصول إلى كل من ساعدنا بشكل أو بآخر طيلة مشوار
عملنا على إنجاز هذا البحث، مما كان حافزا لنا لإنهاءه.

المقدمة

حدث بارز ميّز الساحة العربية والعالم الإسلامي منذ مطلع الألفية الثالثة، فيما عرف بالربيع العربي، الذي غذته الأوضاع السياسية المستبدة، والأوضاع الاقتصادية الهشة، لتشكل في نهاية الأمر حركات احتجاجية، أطاحت في كثير من الدول العربية بأنظمتها السياسية.

ولقد أثارت موجة هذه الحركات نقاشات سياسية فكرية اتسعت دائرتها، من مختلف المشارب والرؤى إلى حد أن وصلت حدة النقاشات إلى أن الخروج عن الحاكم لا يجوز ولو كان ظالما، ولعل أول ما ينبغي تسجيله بهذا الشأن المحددات التي وجهت هذه الإشكالية كلها حول دور الشعوب وقدرتها على فرض نفسها في مركز صنع القرار وسياسة الحكم.

وإذا كان من الجائر النظر إلى هذه الظاهرة من خلال استشفاف إمكاناتها الهامة، وإذا قدرنا تحديد ظاهرة الحراك الشعبي، فإن ذلك سيشرع ويفتح لنا آفاق البحث في استحضار هذه الظاهرة من خلال العصر الوسيط، ومنتسائل دائما إذا كان من الممكن أن ندرس ونبحث عن مشاكل الحاضر في الماضي، وتقريرها وربطها ببعضها البعض، على حد تعبير ابن تومرت في لقائه المزعوم بالغزالي -قرعت الباب ولم يؤذن لي- لأجل ذلك ارتأينا أن نقدم بحثا بعنوان: "الحراك الشعبي في الغرب الإسلامي"، من منطلق أكاديمي.

وتجدر الإشارة إلى أن استعمال مصطلح الحراك في فترة تاريخية ماضية يجرنا إلى العديد من التساؤلات حول هل يصح التعبير عن قضية في العصر الوسيط بمصطلحات معاصرة؟ لنترك الإجابة عن هذا التساؤل في البحث.

لا شك أن الباحث الذي يتعقب تطور هذه الدراسة، سيلاحظ أن العصر الوسيط عرف تحولا تاريخيا في بعض مجالاته منذ تأسيسه، وأن هذا التحول سوف يكتسي أبعادا عميقة وشاملة ليبلغ أوج عطائه مع تطور الحياة السياسية والاجتماعية، ويكتسي العمران طابعه، وهذا التحول في المجال السياسي والاجتماعي خصوصا هو الذي سيحاول إبراز أهم معالمه ومراحل في هذه الدراسة، ومع ذلك فإن الباحث نفسه لا بد أن يعيد ترتيب مراحل خط هذا التحول، إذا هو أراد رصد المنعطف الذي سجل تطور الأوضاع العامة في تاريخ الغرب الإسلامي، من وضعية "المجتمع التقليدي" القائم على الخضوع لوضعية المجتمع القائم على التغيير وفرض نفسه في المركز.

لا شك أن الدارس سيرتكب خطأ فادحا إذا هو اعتقد أن الحركات الشعبية في العصر الوسيط كانت مجرد حركات ثائرة لتمجيد الثورة فقط، أو كما نعتت بالتمرد السياسي، غير أن الذي حدث في الحقيقة هو تدشين ثورة اجتماعية سياسية يدعمها بعض الفقهاء، نقول بعض الفقهاء لأن جل الفقهاء في العصر الوسيط كانوا أقلاما للسلطة الحاكمة.

إن التاريخ السياسي لهذه الحركات معروف، وهو بعد لا يهمننا هنا، ولذلك سننصرف إلى إبراز الدور الفعال والحاسم الذي قامت عليه هذه الحركات خلال العصر الوسيط، التي ساهمت بدورها في إبراز معالم المجتمع الحديث، والتاريخ كما يعرف الجميع لا يكتب مرة واحدة بل تعاد كتابته باستمرار، تحت إحياء وضبط أسئلة يلقيها الحاضر على الماضي، ولنتساءل لماذا ينطلق من هموم الحاضر إلى الماضي؟.

إن طرح هذا السؤال بصراحة سيمكننا من التماس حل مرض للقضايا الأساسية في موضوعنا؛ منها قضية المصطلح -الحراك السلمي في العصر الوسيط- ومسألة

تحديد المحاور التي يجب أن يبنى عليها تصورنا العالم، وأخيرا وليس آخرا، رسم آفاق المستقبل على ضوء تجارب الماضي.

ويأتي بحثنا تجسيدا لهذا التطلع، وتجاوبا مع معطيات الحالة الراهنة التي يمر بها العالم الإسلامي والعربي، وقد أردنا من خلال هذه الدراسة أن نتجه خارج الطرح التقليدي، وتكمن أهمية موضوعنا كذلك في قلب الصورة النمطية حول الانتفاضات الشعبية والحركات الاحتجاجية خلال العصر الوسيط، والتي دونت على أنها ثورات مسلحة، ووصفت بالتمرد والفوضى، وتبينها من خلال دراستنا على أنها حراك يحمل طابع السلم لأجل التغيير، على أن يكون هذا البحث دراسة وإضافة للبحث في التاريخ بكل مجالاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

- إشكالية الدراسة:

وفق ما يفرضه مجال البحث في مستويات الإشكال والمعالجة، يظل الاهتمام منصبا نحو الكشف عن حقيقة ادعائنا بوجود حراك شعبي في الغرب الإسلامي، والتساؤل عن مسبباته وتجلياته ضمن نطاق سلمي؟ فما المقصود بمصطلح الحراك؟ وما مظاهره؟ ومسبباته؟ والآثار المترتبة عليه؟

ما محل الدولة المركزية من هذا الفعل الحراكي؟ وصولا إلى المقصد الرئيس المتمثل في معرفة إلى أي مدى نجح الحراك في مستوى فرض منطقته، وإصلاح المنظومة الاجتماعية والسياسية؟

إن تقرير هذه الأسئلة سيسمح في الكشف عن منطلقات الحراك وتجلياته على المدى القريب والبعيد.

-المنهج:

من الأمور المسلم بها أن قيمة النتائج التي تتوصل إليها أي دراسة تتوقف على نجاعة مناهج البحث التي تستخدمها، والرؤى التي تصدر عنها، ولما كانت طبيعة الموضوع المدروس تستلزم مناهج متعددة، ونظرا لتموقع إشارات التاريخ السياسي والاجتماعي ضمن نص رواية السرد التاريخي، من حيث أنه يجمع في العناية بين "الحدث" و"البنية"، وبين الاعتداد بأثر الفرد بقدر المجموع، وليست عوامل الغيب بأقل أثر من عوامل الشهادة، وعلى تلك فإن اهتمامنا انصب -في المقام الأول- على تتبع واستقصاء مادتنا التاريخية في المصادر الأصلية المواكبة للمرحلة محل الدراسة، وهو مسلك لا ينفصل على استحضر النقد والتحليل في مختلف أطوار الفحص والقراءة أو التحرير والإخراج، ثم إن حمولة صب رواية العصر الوسيط، وخصوصا النص السياسي في قالب اجتماعي، جعل دلالة الكلمات في أصلها تفيض بالمعاني الدالة على صورة الحراك المعلنة والمضمرة، مما فرض علينا آلية التحري والاستنباط في تقصي الوقائع والأحداث التي لها علاقة بالموضوع.

وان كنا سنفسح للوصف مقالا في بحثنا، فليس بمعنى الإغراق في السرديات، ولكن بمعنى الاستنباط الذي يروم سبر الأنساق الداخلية للأحداث، والوقوف على عللها المؤثرة، وأسبابها الفاعلة، كما أن التعامل مع المادة التراثية يتطلب الانتباه لمحاذاير عديدة، أهمها الوهم الناشئ لدينا بإمكانية الدراسة الموضوعية للتاريخ، فإننا نعتقد أنه لا يجب للموضوعية المطلقة أن توجد، بالمقابل علينا أن نحرص على الفصل بدقة بين رؤية نصدر عنها وحقائق لا يمكن القفز عنها.

-عرض الموضوع:

أملت علينا دراسة موضوع "الحراك الشعبي في الغرب الإسلامي.. بواعثه، تجلياته، تداعياته"، تقسيمه إلى فصل تمهيدي وثلاثة فصول:

تطرقنا في الفصل التمهيدي إلى "الحراك الشعبي.. مفاهيم وعلائق"، وقسمناه إلى مبحثين: الأول؛ تحدثنا فيه عن الحراك الشعبي في المعجم اللغوي، والثاني؛ تطرقنا فيه إلى الحراك الشعبي في المدونة التراثية.

أما الفصل الأول للبحث، فكان بعنوان: "بواعث الحراك الشعبي"، وقد عالجنّا فيه في مبحث أول "البواعث السياسية والمذهبية"، وفي مبحث ثانٍ "البواعث الاقتصادية والاجتماعية".

وقد جاء الفصل الثاني بعنوان: "تجليات الحراك الشعبي"، وقد وزعناه -بدوره- على مبحثين: خصصنا الأول لبلاد المغرب، والثاني لبلاد الأندلس، ففي مبحث المغرب تناولنا العهد الأغلبي، والعهد الموحدي، والعهد المريني، أما في مبحث بلاد الأندلس، فتناولنا العهد الأموي، والعهد الطائفي، والعهد الموحدي.

كما قسمنا الفصل الثالث الموسوم بـ "تداعيات الحراك الشعبي" إلى مبحثين: أول؛ تناولنا فيه التداعيات قريبة المدى، على غرار بعض الإصلاحات السياسية والاقتصادية أو الإجراءات الفورية التي يراد منها امتصاص غضب العامة، وثانٍ؛ خص الآثار التي تنجم في المدة الطويلة نتيجة توالد الغضب الشعبي وتكرر هباته ضد السلطة، وما يرافق ذلك من نزيف بيت المال، وانخراط نظام الدولة، وتراجع شوكة الجيش.

-نقد المصادر والمراجع:

إن الباحث بحاجة إلى معارف ومآخذ متعددة إذا ما أراد أن ينجز مقارنة تاريخية رصينة، وبالعودة إلى الموضوع، فقد استدعى منا توظيف العديد من المصادر الأساسية على تنوعها، كما استفدنا كذلك من المراجع الحديثة التي تعرضت للموضوع، سواء من قريب أو من بعيد، كما استفاد البحث كذلك من مختلف المعاجم والرسائل الجامعية التي لها صلة بالموضوع.

وسنحاول فيما يلي التطرق إلى أهم العناوين التي أمدتنا بمادة تاريخية خبرية مفيدة أو ساعدت على إثراء النقاش.

أ-المصادر:

- الرقيق القيرواني (ق 5/12م): تاريخ إفريقية والمغرب، يعد الرقيق عمدة المؤرخين المغاربة، حيث يعد المصدر الرئيسي الذي نقل عنه كثير من المؤرخين بعده، واستفدنا منه في إيراد بعض الأحداث التي شهدتها المغرب، والظاهر أن القيرواني استفاد من عمله كرئيس للديوان، وقد أتاحت له وظيفته أن يقف على كثير من الوثائق والمراسلات.

- عبد الواحد المراكشي (ق 7/13م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، من المصادر التي اعتمدنا عليها بشكل كبير، ويعالج تاريخ المغرب والأندلس في عصر الموحدين، إذا عاصر أحداثهم، ولكنه ضمّن كتابه تاريخا عاما للغرب الإسلامي.

- ابن الأبار (ت 658/1260م): الحلة السيرة، يعد ابن الأبار من أكبر مصنفي المعاجم والتراجم لرجال الأندلس والمغرب، وعلى الرغم من ذلك يعرض أحداثا تاريخية ومعارك حربية، وأهميته بالنسبة لنا أن المؤلف كان تحت يده وثائق ومصادر على درجة كبيرة من الأهمية، وأحيانا ينفرد ببعض الأفكار دون غيره.

- ابن عذاري المراكشي (ت 712هـ/1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تكمن أهميته أنه اشتمل على روايات مستقاة من معاصري الأحداث، ومن البحث كما تقرر لنا فقرات هامة كانت مفقودة، واعتمدنا عليه كثيرا في مختلف أجزائه، نظرا لكم المعلومات التاريخية التي احتواها.

- ابن خلدون (ت 808هـ/1405م): كتابه العبر، المقدمة من أهم المصادر التي ألفت في تاريخ الغرب والبربر والعجم، ولا يستطيع أي باحث في تاريخ الغرب الإسلامي الاستغناء عليه، وأهميته تكمن في إشارات وملاحظات حول تاريخ المغرب وأحداثها مفيدة جدا، للصلة التي ربطته بالعديد من القبائل، واستقائه المباشر عن المصادر التاريخية الأصلية المحلية.

- ابن الخطيب (ت 776هـ/1374م): يعد ابن الخطيب من المصادر الرئيسية في تاريخ الأندلس، فعمله في الوزارة اختلط مع حياته العلمية، وأفادت كل واحدة منها الأخرى، ومركزه كوزير أتاح له فرصة الإطلاع على الوثائق والمراسلات الرئيسية استخدمها في مصنفاته التاريخية، وأفادتنا كثيرا في أحداث تتعلق بالتاريخ الأندلسي.

- ابن أبي زرع (ق 8هـ/14م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، يتناول تاريخ المغرب الأقصى منذ سنة 145هـ إلى غاية 726هـ، أفادتنا كثيرا في الجانبين الاقتصادي والاجتماعي في وصف هذه الجوانب.

- السلاوي (ت 1315م): كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، من بين الكتب التي اعتمدنا عليها في إيراد بعض الأحداث، ويعتبر السلاوي مؤرخا ناقلا في أغلب الأحيان، ولكنه كذلك صاحب رأي في بعض المسائل، لاسيما الجانب الديني.

ب- المراجع:

• دلال لواتي: عامة القيروان في عصر الأغالبة، كتاب مهم حيث جمع في طياته الكثير من الأحداث التي تخدم دراستنا، خاصة وأن الباحثة أجادت كثيرا في توظيف المصطلحات وتقريرها وتبيانها، خاصة المصطلحات المتعلقة بالشعب، لذا كان اعتمادنا عليها كبيرا في البحث.

• إبراهيم القادري بونشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، حيث يعد من أوائل المحدثين في الكتابة التاريخية، وطبق منهج الحوليات الفرنسية في التاريخ -التاريخ من أسفل- أي الصفحات المهمشة، ولما أن موضوعنا يندرج في هذا الإطار، فقد أفادنا كثيرا في وصف الحالات الاجتماعية والاقتصادية للسكان.

• محمد الطالب: تاريخ الدولة الأغلبية، يعد من أول الكتابات التي أرخت للتاريخ الأغلبي، وجاء كتابه مليئا بكثير من القضايا التاريخية، ولا يكتفي الطالب في إيراد الروايات وفقط، بل يقوم بالتحليل والنقد والمقارنة في الخروج بنتائج، إذ كان كتابه ذا أهمية بالنسبة لنا، خاصة في تتبع الانتفاضات في تاريخ الأغالبة.

• محمد المغراوي: الموحدون وأزمات المجتمع، على الرغم من جزئية هذا الكتاب والتركيز فيه على تاريخ الموحدين، فانه قدم لنا تصورا واضحا حول مسببات الانتفاضات، وكذلك الأسباب المباشرة التي كانت الدولة من ورائها، لذا استفدنا منه في رد فعل الساكنة حول السلطة الموحدية.

• حسين أسكان: الدولة والمجتمع في العصر الموحي، الكتاب بمثابة تقرير عن السلطة والساكنة خلال العصر الموحي، وقد استفدنا منه في معرفة أوضاع المجتمع المغربي، إضافة إلى تعامل السلطة مع التمردات والحركات الشعبية.

• جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، حمل الكتاب في طياته

معلومات مهمة حول تصنيف الطبقة في المجتمع، وأحوالها الاقتصادية والاجتماعية، وأفادتنا في تقرير حالة المجتمع.

• محمود إسماعيل: المهمشون في التاريخ الإسلامي، على الرغم من التوجه المادي في دراسة التاريخ، يظل المؤلف من أبرز الباحثين في هذا النوع من المواضيع المتعلق بالفعاليات الاجتماعية.

-صعوبات الدراسة:

والحقيقة أن البحث في مثل هذا النوع ليس سهلاً ولا ميسوراً، لكنه شائك وعسير، خاصة عدم وضوح الصورة فيما يتصل بمصطلح الحراك والمادة المصدرية، حيث تتداول مصطلحات اشتقاقية غير موحدة، كما أن طبيعة النصوص التي جاءت في قالب سردي، وصياغات مختلفة، وتأويلات عديدة، خاصة فيما يتعلق بمصطلح الحراك. فضلاً عن صعوبات ظرفية ناشئة عن تداعيات جائحة كورونا التي حالت دون التواصل المستمر، والتنسيق الجيد بين الباحثين.

وفي الختام، لا يفوتنا أن نجدد خالص الشكر والعرفان والتقدير لأستاذنا الفاضل "الخضر بولطيف"، الذي منحنا الكثير من وقته، وما أولأناه من رعاية وتوجيه، على الرغم من كثرة أشغاله والتزاماته، فجزاه الله عنا، وعن سائر طلبة العلم خير الجزاء.

الفصل التمهيدي:

الحراك الشعبي.. مفاهيم وعلائق

أولاً: الحراك الشعبي في المعجم اللغوي

ثانياً: الحراك الشعبي في المدونة التراثية

إن البحث في نطاق مواضيع تتعلق بتأثيرات الجوانب المختلفة على حركة وسيرة الاحتجاج في العصر الوسيط، فإن أول ما يواجه الباحث في هذه القضية المنهج المتبع في التاريخ لمثل هذه المواضيع، وهو ما أدى بالمفكرين إلى التأكيد أن طرح قضية المنهج في حقل البحث التاريخي أمر في غاية الأهمية العلمية، ذلك لأن على أساسها لا يجري تقويم التاريخ فحسب، وإنما لكون تقييمها تتجاوز التاريخ لكي تمد بينه وبين الحاضر¹ وسؤال المنهج من أهم أسئلة الثقافة وأشقها على الباحث الحصين، فهو سؤال يتخطى الغرق فبرؤاه على المعطيات المعرفية عموماً، تبعاً لدرجة استخدامه في مواضيع حساسة.

قد نقول ونحن بصدد إنجاز بحث حول "الحراك الشعبي" في العصر الوسيط يثير الانتباه النظري ويثير قضية اصطلاحية تتعلق بالمفاهيم المستعملة في هذه الدراسة خاصة حين حمل البحث مصطلح الحراك: فهل نجد في المدونات التاريخية الوسيطة ما يؤكد صدق رؤانا؟.

وإذا كان هذا الأمر هي مجازفة بحثية متصلة بالحقل الدلالي فإن المجازفة الأخرى تتعلق بكيفية توظيفها حين نصوغ نصاً تاريخياً له عن دلالاته ربما يتوافق مع منظورنا أو لا يتوافق وهنا يحق لنا أن نتساءل فيما إذ كنا نستطيع توظيف مصطلحات معاصرة في التعبير عن قضايا ماضيه تخص العصر الوسيط؟ فتاريخ الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط يحيل إلى عديد القضايا المبهمة كما سبق الذكر ما تعلق بتوظيف المنهج عامة والمصطلح خاصة، وقد أشار الباحث "لخضر بولطيف" إلى هذه القضية بقوله: "إن من أدق إشكاليات الكتابة التاريخية الراهنة، ما يرجع إلى

¹ الطيب تيزيني: مشروع جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط، دار دمشق-سوريا، ط5، ص125.

ضبط دلالة المصطلح الذي يراد إجراءه ضمن مجال تداولي معين¹، إذا كنا نعبر عن جواهر الماضي انطلاقاً من هواجس الحاضر، ويعد الباحث محمود إسماعيل وعلى شاكلته على غرار طيب تيزيني وحسين مروة... الخ، أول من عبر على تاريخ الماضي بمصطلحات معاصرة، وتوظيف مصطلحات الماركسية والمادية في التعبير على أحداث الماضي، لأن مقصدنا هنا هو التاريخ لا المؤرخ، هدفنا التاريخ لما جرى من وقائع ماضية.

وإذ نظرنا إلى المفاهيم التي سنعرضها في هذا المدخل من زاوية أنها على حسب إطلاعنا غائبة عن الساحة الفكرية العرقية التي مازالت تهيمن فيها مصطلحات قديمة ومتجاوزة، ومن خلال عرض المفاهيم ما تعلق بالحراك الشعبي في تقديرنا أن ذلك سيفتح باب الحوار والمناقشة، بعد هذه الملاحظات السابقة التي شرحنا فيها إشكالية توظيف المصطلح والمنهج فننتقل هنا إلى عرض المفاهيم والرؤى التي سنوظفها في بحثنا هذا.

أولاً- الحراك الشعبي في المعجم اللغوي:

1- الحراك:

من ناحية البنية اللغوية نجد مصطلح "الحراك" الجذري اللغوي في الفعل "حَرَكَ" وورد بهذا الخصوص في "لسان العرب" عند ابن منظور يقول: "حرك"، الحركة ضد السكون، حركة، يحرك حركة وحركاً وحركه فتحرك، فما به حراك أي حركه، وفلان ميمون العريكة والحريكة².

¹ لخضر بولطيف: فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، دار الصديق، الجزائر، 2015، ص55.

² ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير والآخرين، دار المعارف، القاهرة- مصر، ص488.

وقال الأزهرى: "كذلك يتحرك، وتقول أعيان فما به حراك".

وقال ابن سيدة: "وما به حراك أي حركة".

وجاء في القاموس المحيط¹: حرك، حركا بالفتح، وحركة ضد السكون وحركته فتحرك وما به حراك كسحاب: حركة.

وتأتي في المعاجم عدة مصطلحات تتماشى مع المفهوم الذي يحمله مصطلح الحراك أيضا من قبل "الاعتراف، الاحتجاج والمطالبة وغيرها من المصطلحات التي تعبر عن رفض القرارات أو سلوك نهجه طرف آخر، انطلاقا من مبررات بينة حجج قاطعة².

2- الشعب:

الشَّعْبُ: القبيلة العظيمة وهو أبو القبائل الذي ينتسبون إليه أي يجمعهم ويضمهم، وقال ابن عباس: "الشعوب الجمهور، مثل مضر والقبائل والأفخاذ"³.

وجاء في لسان العرب الشَّعْبُ: الجمع والتفريق، الإصلاح والإفساد، في حديث ابن عمر: وشعب صغير من شعب كبير أي صلاح قليل من فساد كثير شَعْبُهُ، يَشْعُبُهُ، شعبا، فانشعبت، وشَعْبُهُ فَتَشَعَّبَ.

وأُشْدَ أبو عبيد لعلّي بن غديو الغنوي في الشعب بمعنى التفريق، وقال ابن السكيت في الشعب: إنه يكون بمعنيين يكونا إصلاحا أو تفريقا⁴.

¹ الفيروز أبادي: أبو طاهر محمد يعقوب الشيرازي: القاموس المحيط مكتب تحقيق التراث، محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ص 936.

² إبراهيم القادري بوتشيش: ثقافة الاحتجاج السلمي بالأندلس خلال الوثيقة في التراث والأرشيف الإسباني، مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، المغرب، ص 96.

³ الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيقك أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ن بيروت، لبنان، ط 3، 1984، ج 1، ص 155.

⁴ ابن منظور: لسان العرب، ص 2268.

شَعَبْتُ الشيء إذا جمعته.

والشعوب: مفرد لها شعب، ويطلق على الحي العظيم من الناس المستقر بنفسه¹. وهي رؤوس القبائل وجمهورها، سمو بذلك لتشعب اجتماعهم كتشعب أعضاء الشجر وقد غلبت الشعوب بلفظ الجمع².

وقال الجوهري: الشعب: ما تشعبت من قبائل العرب والعجم والشعوبية: فرقة لا تفصل العرب عن العجم³. وشعيب: تصغير شعب وهو المزادة والرواية، التي قد أصلحت وجمعت⁴.

ثانيا - الحراك الشعبي في المدونة التراثية:

قد يكون الكشف عن بعض المصطلحات مغامرة، فهذا الأمر يثير قضايا منهجية ما تزال تتفاعل وتختمر في أواسط المؤرخين وما تزال المواضيع المنجزة حول مصطلحات ومفاهيم التاريخ الاجتماعي الوسيط نادرة جدا، وإن لم نقل منعدمة، كما ذكرنا سابقا وسنحاول من خلال هذا البحث أن نتبع "الحراك" و"الشعب" في أصناف المدونة التاريخية للغرب الإسلامي والجدير بالذكر أن مصطلح الحراك وقد ورد بعدة صيغ مختلفة منها الهيج: ولقد ذكر لنا المؤرخ ابن عذارى في كتابه البيان الهيج فيقول⁵: "وقد اختلفت الروايات بسبب قيام الناس وهيجهم فمنهم من يقول أن ذلك الهيج

¹ أبو جعفر، محمد بن الحسن الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء للتراث العربي، بيروت، لبنان، ج9، ص352.

² الزبيدي، محمد مرتضي الحسني: تاريخ العروس من جواهر القاموس، سلسلة التراث العربي، تحقيق: أحمد عبد الستار فراخ، مطبعة حكومية، الكويت، 1960م، ج3، ص136.

³ الجوهري: الصحاح، ج1، ص156.

⁴ المصدر السابق: ص138.

⁵ ابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان وبروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ج2، ص89.

كان أصله الأشر والبطر، إذ لم تكن ثمنه ضرورة من إجحاف في مال ولا انتهاك الحزمة، ولا تعيق في ملكه".

أما ابن خلدون¹ فيقول: "وإن قلنا تلك العساكر تمر لهؤلاء الأمم غير أن تهجيهم فتحصل لهم الميرة بالمسالمة".

ولقد ورد أيضاً مصطلح إذ عبر عنها الزركشي² عندما تولى هارون اليهودي أمور المسلمين بفاس إذ يقول: "وعند قدوم عبد الحق عقب تلك الهيعة في قليل من الناس قبضوا عليه".

أما بالنسبة لمصطلح الشعب وقبل الحديث عنه في المدونة الوسيطة سنحاول أن نعرفه أولاً في المرجعية الإسلامية ممثلة في القرآن والحديث.

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾³.

وقال أيضاً: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾⁴.

وفي الحديث النبوي الشريف أن عائشة رضي الله عنها وصفت أباه رضي الله عنه: "يرأب شعبها" بمعنى يجمع كل متفرق⁵.

ويبدو أن مصطلح الشعب كان متداولاً في العصر الوسيط في مختلف المصادر المباشرة، أو غير المباشرة، فلقد وردت عند ابن الأثير بقوله: "إنما نحن شعب من أصل"¹.

¹ ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي: كتاب العبر وديوان المبتدأ أو الخبر في أيام العبر والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001م، ج1، ص18.

² الزركشي، ابن عبد الله محمد بن إبراهيم: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضي، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م، ص156.

³ سورة الحجرات، الآية13.

⁴ سورة المرسلات، الآية30.

⁵ ابن منظور: لسان العرب، ص2268.

ووردت عند الماوردي في الأحكام السلطانية² عندما رتب أنساب العرب بستة مراتب، فجعلت طبقات أنسابهم هي شعب، ثم القبيلة، ثم عمارة، ثم بطن، ثم فخذ، ثم الفصيلة، فالشعب النسب الأبعد مثل عدنان وقحطان³.

سمي شعب لأن القبائل منه شعبت ثم القبيلة. فالشعب يجمع القبائل وإذا تباعدت الأنساب صارت شعوباً وعمائر وقبائل لا يختلفون في ذلك عن الشعوب الإفريقية". وقال أيضاً عن الشعب⁴: "الشاوية أو رعاة الشاه شعب إفريقي يعيش عيشة العرب"⁵. أما عند ابن عذاري قال: "وبطون مصمودة تنتسب من أربع قبائل: دغاغ وأصاد وبني سمغرة وكتامة"⁶.

ولقد وردت عند ابن خلدون⁷ في مواطن عديدة والظاهر من كلامه أن الأمة أوسع من الشعب. يقول: "إن الملك إذا ذهب عن بعض الشعوب من أمة فلا بد من عودته إلى شعب آخر منها ما دامت لهم العصيبة".

¹ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري: الكامل في التاريخ، راجعه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ج5، ص381.

² الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط2، 1994، ص268، 269.

³ هي ما انقسمت فيها أنساب العرب مثل ربيعة ومضر، وسميت القبيلة لتقابل الأنساب فيها، ثم العمارة وهي ما انقسمت فيها أنساب القبائل، مثل قريش وكنانة، ثم بطن، المصدر نفسه، ص268، 269.

⁴ نظم الحكم في واقعة الرضوي أبيات يذكر فيها الشعب.

رأيت صدوع الأرض بالسيف واقعا وقد لامت الشعب منذ كنت يافعا

فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغرة أبا درها مستنضي السيف دارعا

أنظر: محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط4، 1997م، ص246.

⁵ الوزان، أبو علي الحسن ابن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، نقله عن النسخة الفرنسية: محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، الشركة المغربية للناشرين المتحدتين، الرباط-المغرب، ط2، 1983، ص66.

⁶ ابن عذاري: البيان، ج1، ص26.

⁷ ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي: المقدمة: اعتنى به صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض-السعودية، ص76.

والمفهوم من ابن خلدون أن الشعب أوسع من القبيلة ولقد جاء في بغية الرواد¹ "قرارهم إلى رؤوس الجبال وبطون الشعاب".

ولقد وردت كلمة الشعب: أيضا عند حسن الوزان² بقوله: " فعرب نوميديا وليبيا يعيشون عيشة بؤس وفقير مدقع".

ومن الأوصاف التي أطلقت على العامة التي تدل على التهميش، ولقد تقنن أهل القلم في صياغة عبارات السب والشتم والتغليط للعامة كما أصروا بأن العامة من الدهماء³، وكذلك ابن عذارى الذي وصفهم "بالصقورة الفتاك"⁴ وهكذا دواليك تزخر المصادر بعبارات مرادفة للعامة تنم عن روح الاحتقار تجاه هذه الفئات الاجتماعية.

¹ ابن خلدون، أبو زكريا يحيى: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: بوزيان الدراجي، دار الأمل، الجزائر، 2007، ج2، ص155.

² الوزان: وصف إفريقيا، ص62.

³ ابن خلدون: العبر، ج5، ص57.

⁴ ابن عذارى: البيان، ج3، ص127.

مثل السواد، السفلة، الغوغاء، الدهماء، الأوباش، الرعاع... انظر المصدر نفسه: البيان، ج6، ص42، 52، 57، 160، 247.

الفصل الأول:

بواعث الحراك الشعبي

أولاً: البواعث السياسية والمذهبية

ثانياً: البواعث الاقتصادية والاجتماعية

ننطلق في التاريخ للبواعث الحراك الشعبي، من الخلفيات التي تؤطر هذا الحراك وتوجه سلوك العامة حيال السلطة الحاكمة، وحين نرسم معالم المنهج وأفق الرؤية في تتبع البواعث المسببة لهذا إن كنا نستطيع الحديث على ثقافة الاحتجاج خلال العصر الوسيط؟ وهل يستند هذا الموضوع إلى وثائق أو إشارات في أصناف المادة المصدرية؟ سؤالان يتضمن الواحد منهما الآخر ويحيل إليه ويشكلان بترابطهما بهذا الشكل أحد المحاور في التاريخ للحراك الشعبي خلال العصر الوسيط لكن قبل حسم هذا الإشكال يقوم أمامنا إشكال آخر يتعلق بما إذ كان باستطاعتنا أن نلم بشكل الخلفيات المسببة للحراك وهل هذه البواعث كانت سببا لوجود حراك في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط؟ أم هي نتيجة حتمية لعوامل مختلفة؟

ونهدف من خلال هذا المدخل إلى بناء تصور أولي وعام حول خلفيات الحراك وكذلك إلى تبيان موضوعاته ومنهجه وتحديد علاقة الحراك بالأوضاع المختلفة سياسية، اقتصادية، اجتماعية والمذهبية.

وقد غدت بلاد المغرب والأندلس مسرحا للاحتجاجات ذات الطابع السياسي والاجتماعي، وقد ارتأينا أن نوجه نظارنا إلى مثل هذه الإشكاليات بعيدا عن التصورات، لذا سنحاول في هذا العنصر تصوير النظر صوب بواعث الحراك حتى ننتج آفاق للولوج إلى ما يمكن أن يسببه من نتائج وتداعيات لها أثر على المستويين القريب والبعيد، وعليه فإنه يجب علينا تحديد منهجنا ورؤانا التي تصدر عليها في هذا العنصر، وبما أن المنهج والرؤى متلازمان لأن لكل فعل خلفيات لما له من تجليات قد تكون دوافع داخلية اقتصادية، سياسية...الخ، والمنهج الذي سنوظفه في هذا العنصر يتألف من صنفين إشكالي والآخر تحليلي، وقد اجتهدنا من جهة أخرى في محاولة تقريب صورة الحراك في العصر الوسيط من خلال رؤيتنا لخلفياته مع التأكيد على أن

ما سنعرضه من مفاهيم لها علاقة مباشرة بمسألة الروابط النفسية لإنسان الغرب الإسلامي مع سلوكياته.

أولاً- البواعث السياسية والمذهبية:

1- البواعث السياسية:

ينطلق الباحث التونسي محمد الطالبي من مقولة حيث يقول: "لقد كان للتفوق الذي يدعيه العرب مفعول يتسبب في ظهور الشعوبية بشتى أشكالها"¹. فهل هذا يعني أن الاختلاف العرقي وتسلط العنصر العربي في الحكم هو السبب الوحيد فقط لهذا الحراك؟.

حيث ابن خلدون² يصفه بأنه تغيير المنكر من العامة، ونفهم من كلامه أن الحراك هو من أجل تغيير وضع معين، ويرجع غالباً إلى نظام الحكم الذي تتبعه الدولة من استبداد³، خاصة الوزراء المقربين للحكم.

حيث نجد من المسببات أن العامة قد جردت من كافة الحقوق السياسية فحسب وصف أحد الباحثين بالهمج والرعاع المشوشين لا يعرفون إلا النهب والسلب فليس من حق الرعية أن تتصرف من الراعي ولا السوق أن تتظلم من الملوك ولا الوضع أن

¹ محمد الطالبي: الدولة الأغلبية التاريخ السياسي (184-296هـ/800-909م) السلسلة الجامعية، مراجعة حمادي الساحلي، تعريف: المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1985، ص58.

² ابن خلدون - أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي : المقدمة، اعتنى به: أبو صهيبي الكرمي ببيت الأفكار الدولية، الرياض-السعودية، ص83

³ الاستبداد: هو تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة، وبلا خوف تبعة، وقد تطأ مزيداً على هذا المعنى الاصطلاحي، فيستعملون في مقام كلمة استبداد، كلمات: استعباد والتعسف، تسلط. عبد الرحمان الكواكبي: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم: مجدة سعيد، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2011، ص11.

يساوي الرفيع في حق ولا باطل كما أن العامة غير مؤهلة لتولي السلطة السياسية وما عليها سوى الطاعة والانقياد¹.

وما أقرته الباحثة يجعلنا نتساءل حول طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم؟ وهل كانت هذه العلاقة تتسم بالاستبداد²؟ أم أن هناك علاقة كما ذكرها الطالبي استبداد الحاكم والمحكوم؟.

حيث نجد أن العامة وظفت لأداء مهام خاصة، حيث يعيش القاسم المشترك بين هذه الرعية هو إنتاجها للخيرات المادية وتمويل خزائن الدولة، إضافة إلى الدفاع عن الدولة بالمقابل تتعرض إلى التهميش في اتخاذ القرارات السياسية ومحقرة في الغالب هذا الشرح العميق بين الرعية والسلطان وصفه العروي بانفصال الدولة عن المجتمع³، وخلق فجوة اجتماعية هائلة بين الرعية والحاكم.

ولقد كثرت نصائح الخاصة⁴ بإبعاد العوام عن السلطة لأنهم لا يعرفون تسيير الأمور ولكن ينبغي التقرب منهم أحيانا ومدحهم لتجنب سخطهم، ويظهر ذلك في أمثالهم "امدح العوام⁵ ولو كانوا أعاديك"¹.

¹ دلال لواتي: القيروان في عصر الأغلبية، دار الرؤية، القاهرة- مصر، ط1، 2015، ص222.

² الاستبداد: وصفه الكواكبي بأنه أعظم بلاء، يتعجل الله ب هبه الانتقام من عباده الخاملين ولا يرفعه عنهم حتى يتولوا توبة أنفة، وهو وباء دائم بالفتن وجذب مستمر لتعطيل الأعمال، وحريق متواصل بالسلب والغصب والسيل الجارف للعمران، وخوف يقطع القلوب، وظلام يعمي الأبصار، أنظر: الكواكبي: الاستبداد، ص19.

³ الحسين أسكان: الدولة والمجتمع في العصر الموحيدي 518-668هـ/1125/1270م سلسلة الدراسات والأطروحات، رقم4، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، المغرب، 2009، ص308.

⁴ الخاصة: هي خلاف العامة ومن أصنافها: الأمير، الوزير، الحاجب، الوالي، القائد، القاضي، أنظر: دلال لواتي عامة القيروان، ص158-169.

⁵ العامة: العم من العامة أي أن العامة هي جمهور من الناس. والعمم وهي عظم الخلق في الناس وغيرهم، وهي اسم جمع للعامة وهي خلاف الخاصة، وعم الشيء عموما تشمل الجماعة، والعامة تضم فئات اجتماعية كثيرة ومتفاوتة فيما بينها. انظر: ابن المنظور لسان العرب، المجلد 10، الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص1152.

كما أن السلطة الحاكمة كانت تقوم بمصادرة ممتلكات العوام في حالة الضرورة أو وقوع الدولة في أزمة أو من أجل فرض نظام أو مذهب ما، على غرار استخدام الخليفة الموحيدي عبد المؤمن بن علي².

فلقد أخضع بالقوة القبائل التي رفضت اعتناق الدعوة الموحيدية³ وكذلك إذا نظرنا لمسببات الحراك من المنظور الصراع على السلطة حيث نجد ثورات الأعيان ضد السلطة مستغلين في ذلك المناخ الاجتماعي المتوتر والعصبية التي ينتمي إليها الأعيان كما أن الدولة استغلت ما تعتبره هذه القبائل ملكها ولنا نماذج في العهد المرابطي⁴، حيث تعرضت الرعية للضرب بالسياط واستعمال أسلوب التهريب في جباية الضرائب⁵.

أما في العهد الموحيدي وصل الأمر بالناس لدرجة لا يجرأ أحد أن يقطف من ملكه حبة واحدة من الفاكهة⁶.

¹ ابن عاصم الغرناطي، أبو بكر محمد بن عاصم القيسي، حقائق الأزهر، حققه وقدم له أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1992، ص311.

² عبد المؤمن بن علي: هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي الكومي من قبيلة كومية بربرية أصله من تاجرة (تلمسان) بويغ له بالخلافة بعد وفاة المهدي بن تومرت سنة 524هـ/1129م ويعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الموحيدية. أنظر: ابن أبي زرع، أبو الحسن علي ابن عبد الله الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صورة للطباعة والوراقة، الرباط-المغرب، 1972، ص183.

³ الحسين بولقطيب: حوائج وأوبئة المغرب عهد الموحيدين، منشورات الزمن، الرباط-المغرب، 2002م، ص91-96.

⁴ المرابطين: (401-541) قامت جنوب بلاد المغرب الأقصى بزعامة الفقيه عبد الله بن ياسين، فتوسعت حتى ضمت المغرب كله والأندلس في عصر القائد يوسف بن تاشفين ونهجت نهج أهل السنة والجماعة ومن أسبابها الجهاد في سبيل الله، محمد الصلابي. أنظر: علي محمد الصلابي صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحيدين)، دار البيارق، عمان-الأردن، 1998، ص17.

⁵ الحسين أسكان: الدولة والمجتمع، ص312.

⁶ ابن غازي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الكتامي المكناسي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط-المغرب، ط2، 1988م، ص10.

وبالعودة إلى حكم إبراهيم الثاني الذي حكم الدولة الأغلبية نجد أن في عهد بلغ في الاستبداد بالرعية إلى درجة كبيرة حيث أن النويري¹ يصف بقوله "وكان يقصد ذوي الأقدار والأموال فيقمعهم ويقول: "لا ينبغي أن يظلم إلا الملك لأن هؤلاء أحسوا من أنفسهم قوة بها عندهم من الأموال، لما يؤمن شدتهم فإذا كف الملك عنهم وآمنوا دعاهم ذلك إلى منازعته وأعمال الحيل عليه أما الرعية فهم مادة الملك، فإن أباح ظلمهم لهم يصل إليه نفهمهم، ولحقه الضرر وصار النفع لغيره".

سنجد كذلك من مسببات ما لخصه لنا الباحث القادري بوتشيش² من:

1. تجنيد الرعية قصرا في الحروب.
 2. تعرض البعض من العوام لتتكيل والبطش وهم أحياء
 3. سفك الدماء وقتل عدد لا يحصى من العامة
 4. تعرض العامة للاضطهاد والسجن
- هذه الممارسات سيكون لها تأثير كبير حول الرعية وبالمقابل فإن هذه الأخيرة ستحاول تغيير هذا الوضع سواء بالتمرد أو العصيان وفي بعض الحالات حتى استعمال العنف والثورة على الحاكم.
- إن تولي أمراء ضعفاء القرار السياسي سينجر عنه ثورات واغتيالات كما حدث في دولة بني مرين عندما تسلط الوزراء من جهة وزعماء العرب من جهة أخرى

¹ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط4، 2004م، ج24، ص55.

² إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1967م، ص203، 202.

فتولدت انفجارات داخلية بين الأبناء والقبائل والعصبيات هذا ما ساعد على قيام ثورات واصطدامات في جميع أنحاء البلاد¹.

كما أن هناك عاملاً آخر كان من مسببات الحراك وهو غياب الوعي السياسي الذي كان منصباً فقط على الصراع السياسي وليس نفوذ الدولة السياسية، هذه الحالة تؤدي إلى انهيار المجتمع وتفككه وينتج عنه ظهور ثورات عارمة تطالب بتغيير جذري للأوضاع خاصة إذا كان الحاكم صاحب شخصية ضعيفة².

كما حاول دائماً الحفاظ على مكاسبهم السياسية بأساليب غير مشروعة دون الرجوع للرعية مما سبب الاضطراب على غرار الوزير حمو بن عبد الله الذي اتبع طريقة الثورة والعصيان للسلطان أبي سالم³، بحجب نفسه عند الرعية⁴، إضافة إلى بروز ظاهرة أخرى حيث نجد صاحب الذخيرة السنية⁵ يروي لنا أن لما تولى الحكم يوسف المستنصر⁶ بعد وفاة أبيه حيث كان صبياً لم يبلغ الحلم فاعتكف في قصره على اللهو وسلم الملك لأعمامه وقرابته فتحاسدوا فيما بينهم فأضاعوا الأمور وأجاروا

¹ محمد أحمد إسماعيل: ثورات العرب والبربر واليهود في المغرب الأقصى والأندلس في عهد دولة بني مزين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2008م، ص111.

² المرجع نفسه: ص115.

³ أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن بن أبي السعيد بن يعقوب بن عبد الحق الميرني الزناتي كني بأبي سالم، أحد ملوك مدينة فاس لقبه المستعين بالله ببيع يوم الجمعة عام سنتين وسبعمئة. أنظر: ابن القاضي أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي: جذوة الاقتباس في من حل من الأعلام مدينة فاس، المطبعة الحجرية، فاس، 1891، ج1، ص83.

⁴ محمد أحمد إسماعيل: ثورات العرب والبربر واليهود، ص115.

⁵ ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، المغرب، 1972، ص24-25.

⁶ يوسف المستنصر: هو أبو يعقوب بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، ببيع له بالخلافة بعد وفاة أبيه الناصر وهو صغير السن ذو ستة عشرة سنة، كان مولعاً بالراحة، فتغلب عليه أشياخ الموحدين. أنظر: ابن سماك العاملي، أبو القاسم محمد بن أبي العلاء محمد: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، دراسة وتحقيق عبد القادر بوبايا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص242.

في الأحكام وأبعدوا العلماء، فظهر في ملكهم الفساد هذا ما أدى إلى ضعف السلطان وانهيار ملكهم واحتقان العامة لهم.

فدائما توليه صغار الأمر ينجر عنه غليان وتنافس حول السلطة، ونفس الظاهرة نجدها في أواخر الدولة الأغلبية، حيث يذكر ابن عذارى¹، أن زيادة الله الثالث مال إلى اللهو وإهمال أمور الدولة عجل في عهده وحدثت اضطرابات من جانب الجند والرعية.

كما أتاحت حرية تدخل النساء في شؤون الدولة والتمتع بالسلطة التي استطعن الاحتفاظ بها، وأن تكون كلمتهن مسموعة خاصة في بلاد الأندلس إذ يخبرنا عبد الواحد المراكشي²، بنوع من المبالغة في استبداد النساء بالحكم ولقد كان هذا الاستبداد عامل من عوامل الفساد، وقال: "استولى النساء على الأحوال وأسندت إليهن الأمور وصارت كل امرأة من أكابر لمتونه ومسوفة مشتملة على كل مفسد وسرير وقاطع سبيل خمر ومخور"³.

ولقد عرفت الأندلس فترة مليئة بالفتن السياسية والتناقضات القبلية واتسمت بالاضطرابات الاجتماعية أدى كل ذلك للانغماس في الحروب الأهلية الخطيرة من أجل الإنفراد بالحكم والسيطرة عليه بين اليمينية والمضرية والعناصر المغربية الأخرى⁴.

¹ ابن عذارى، البيان، ج1، ص50.

² عبد الواحد المراكشي، أبو محمد بن علي التميمي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية صيدا- لبنان، ط1، 2006، ص135.

³ ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص135.

⁴ عبد العزيز فيلالي: المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس، دار المعارف، تونس، 1991، ص108.

2- البواعث المذهبية:

يقودنا البحث والتساؤل دائما إلى البحث عن جذرات متناثرة في أصناف المادة المصدريّة حول البواعث المذهبية وأثرها في تبلورها يسمى بلغتنا المعاصرة العصيان المدني في صيغته الدينية.

إن شعور الساكنة في العصر الوسيط وإحساسها بمسؤوليتها في اختيار أفضل المذاهب ما يمكن لها الاستقرار والنجاح من جهة ومن جهة ثانية ما يمكن لها التعبير بحرية كاملة دون ضغط وفرض من السلطة السياسية.

فكانت شعارات الحرية التي رفعتها الخوارج... مثلا سببا في التحول المذهبي وعصيان شامل للسلطة المضادة؟.

والظاهر والشائع في التاريخ المذهبي عند المسلمين أن النضال محوره الأساسي النصوص؟ وفي كثيرا من الأحيان استغلت الساكنة مذهبيا مما يطرح إشكالية مهمة جدا: التدين الرسمي للدولة والدين الشعبي؟ فهل يصح الحديث هنا حول الأهمية المذهبية في إنكاء الاحتجاج وكيف يتم ذلك؟.

ويجدر بنا الإشارة إلى أن الباعث المذهبي يبقى مرتبطا بالعامل السياسي فنجد أن المعاملة السيئة للولاة وطريقة معاملة البربر فيتنكر.

فيذكر لنا ابن عبد الحكم¹: "إن ساكنة المغرب في عهد الوالي يزيد بن أبي مسلم الثقفي جعل منهم طبقة خاصة وفي مستوى أدنى من المغرب وحال بينهم وبين الاندماج في المجتمع الإسلامي، واتفقت طائفة من البربر وقتلوا يزيد² هذا النموذج فقط عن نماذج كثيرة للدولة العربية في المغرب.

¹ أبو القاسم، عبد الرحمان ابن عبد الله ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب: تحقيق: عبد المنعم، الذخائر للنشر، مصر، ج1، ص288.

² يزيد بن أبي مسلم أمير المغرب، أبو العلاء بن دينار الثقفي، مولى الحجاج وكاتبه ومثيره، استخلفه الحجاج عند موته على أموال الخراج، فضبط ذلك، وأقره الوليد، حتى لقد قال: مثلي ومثلا الحجاج وأبي العلاء، كمن ضاع منه

ويرد علينا ابن الأثير¹ على عجز الخليفة هشام عن كبح جماح عماله في المغرب خاصة بعد انطلاق وفد بربري بقيادة مسيرة المطغري، فيحل بين هذا الوفد ورؤيته الخليفة فانقلبوا لتحقيق مطالبهم، تحت غطاء مذهبي، وهذا ما استغله الخوارج جيدا تحت غطاء سياسي وشعار مذهبي²، ونتساءل هنا هل الشعارات المذهبية التي رفعت ذات مدلول تحرري؟ أم ذات طابع سياسي تحت شعار الحرية.

ورغم ما يقال عن الحرية الخارجية في شعبها الإباضي والصفري فإن المغاربة استغلوا وجعلوا منها غطاء للتعبير عن الرفض والاحتجاج السياسي ويذكر موسى لقبال أنها ثورة فكرية طورت عقيدة والمذهب السياسي وأغنت الحضارة بعناصر مقيدة³ على الرغم من اتخاذها طابع عسكري في كثير من الحالات.

وننتقل من إشكالية أخرى تتعلق بدور الفقهاء في إنكاء الباعث المذهبي وتأليب الساكنة ضد الحاكم؟.

هذه الإشكالية طويلة ولها نماذج كثيرة وفي بحثنا هذا نذكر على نقطة مهمة وننتقل من إشكالية امتلاك السلطة الفقهية الدينية بين المذهب المالكي الحنفي؟ في ظل سلطة سياسية ممثلة في الأغلبية التي راهنت على السلطة السياسي والمالكية سيرا على سلطة العامة.

لعب الدور السياسي في اختيار المذهب دورا هاما منذ تبلور إشكالية الإمامة في صيغتها الدينية والدنيوي ورغم أن الخلاف حسم لصالح المالكية التي توضح اجتماعيا

درهم فوجد دينار للمزيد أنظر: الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد التركماني الدمشقي: سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ج1، ص8، 102.

¹ ابن الأثير : الكامل في التاريخ:ج1، ص48.

² السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ج1، ص48.

³ موسى لقبال: المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، سياسة ونظم ، الشركة الوطنية، الجزائر، ط2، 1981، ص154.

على مستوى الوعي الجماعي إلا أن صراعا مذهبيا سيظهر بشكل واضح بين المالكية والأحناف في الفقه، إضافة إلى قيام بعض الفرق كالخوارج وشيعة والتعبير عن وجودها عبر أشكال مختلفة داخل الفضاء المغربي المنفتح.

فما موقف الساكنة من هذا الصراع، أم أنها استغلت فقط لتحقيق مآرب سياسية؟ بالموازاة تبلور إشكالية أخرى حول فهم المغاربة للمذهب ومدى تطبيقها؟.

إن ثراء المذهبية في المغرب خاصة في القرن الثالث بين دولة فاطمية ناشئة وأموية في الأندلس، وقدر لصاحب البذرة¹ (عبد الله الشيعي)، بإيعاز من القبائل الكتامية الرافضة للحكم تحت شعار دولتنا دولة بيان وحجة، فأثر الناس على مذاهبهم وعملوا على استقطاب العامة المستضعفين ويبدو أن ساكنة انقسمت بين مالكية وشيعة كل طرف حاول أن يستقطب الأنصار، إذ تروي كتب الطبقات أن الفقهاء انظموا على ثورة يزيد مخلد بن كيداد في إسقاط الفاطميين.

لماذا استعمل العامل المذهبي كسلاح نفسي للساكنة؟

فالمغاربة على مر العصر الوسيط لم يكتفوا بمذهب معين على حساب آخر وإنما أي مذهب وجد فيه شعارات تحقق مطالبهم السياسية وخاصة الاجتماعية لذلك لعب العامل النفسي دور مهم في الحركات الساكنة واحتجاجاتها.

¹ القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1975، ص29.

ثانيا - البواعث الاقتصادية والاجتماعية:

1- البواعث الاقتصادية:

يعتبر الاقتصاد المرآة التي تعكس الواقع الإنساني، ليس لأنه يشمل النشاط الإنساني كله، وإنما لأنه مقياس لتحضر الفكر الإنساني، وهو السبب المباشر في رفاهية الإنسان أو تعاسته لذلك فهو محرك الشعوب، وبتعطيل الجانب الاقتصادي تتعطل بقية الجوانب الأخرى فغالبا ما نجد أن العوام تقوم لأسباب بيولوجية حتمية.

فمن أكبر المتاعب التي تعرضت لها العامة هي الاستغلال الجبائي فمعظم السياسات التي لجأت إليها الحكام للتعامل مع أزماتها الاقتصادية¹، "هو فرض تكاليف وضرائب"² فادحة وفرض مكوس ومغارم على رعاياها.

هذا ما اعتبرته العامة ظلما في حقها خاصة أن العصر الوسيط عرف سلسلة من الاضطرابات الاقتصادية دفع ضحيتها السواد الأعظم من السكان، ومن ثم فإن دفع المكوس والمغارم بالنسبة للمجتمع يعتبر أمرا صعبا، ومن خلال هنا نتساءل: كيف كان رد فعل العوام في ظل غياب مراقبة السلطة اتجاه السياسة الضريبية؟

لقد أحدثت هذه الاستغلالات الجبائية نوعا من التباعد بين العامة والسلطة الحاكمة³؛ إذ بينت لنا السياسة الضريبية المعاناة التي كانت تعيشها طبقة العامة والتي ساهمت بشكل واسع في تدهور أحوال الرعية وتذمرهم من هذه السلوكات المشينة التي مارسها الولاة وعمال الجباية وبذلك وجدت العامة عدة فرص للخروج عن الطاعة والانضمام إلى الحركات المناهضة والمتمردة على السلطة⁴.

¹ إبراهيم القاري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص204.

² وردت كلمة الضرائب في غالبية المصادر التاريخية تحت اسم قبالات أو مكوس والمكس (مفرد) وهو رسم يدفعه التجار والحرفيون في الأسواق ومتولى تلك الوظيفة يسمى ماكسا، أنظر: ابن خلدون: المقدمة، ص250.

³ ملكية عدالة: عامة الأندلس في العصر الموحد، دكتوراه، جامعة وهران-الجزائر، 2018، ص74.

⁴ علي محمد الصلاحي: صفحات من التاريخ الإسلامي، ص16.

لقد كانت وظلت الضرائب عاملاً أساسياً في قيام الثورات نظراً لما تعرضت العامة من ظلم وتعسف في جبايتها، فمنذ حكم الأغلبية بدأ مشكل الجباية، والإمارة تعهدت أن تتنازل عن المبلغ المالي المخصص سنوياً للقيروان، الوارد من مصر المقدّر بمائة ألف كما تعهدت أن ترسل إلى بغداد أربعين ألف دينار، استطاع إبراهيم بن الأغلب أن يتجاوز إثارة غضب العامة وهيجانها ولكن الأمر لم يبق كذلك بعده.

فقلد بالغ بعض السلاطين الضعاف ووزراء مستبدين في فرض الضرائب التي أرهقت كاهل الرعية وقد وصفها الفقهاء بالظلم ومستغرقية الذمة¹، وقد برع بعض الحكام في اختلاف الذرائع لفرض مكوس² فكانوا يفرضون في بعض الأحيان مكوساً موسمية على بعض المنتجات مثل البطيخ والزيتون في العصر الموحيدي³.

إن كتب النوازل أشارت إلى تعسف الجباة في جمع الضرائب والمكوس ونهب الأموال⁴. أما داخل الأسواق التي تعد عصب الحياة الاقتصادية، تعرض التجار والباعة إلى ضرائب مجحفة، إذ فرضت الضرائب على جميع السلع المعروضة للبيع صغيرة كانت أم كبيرة، ومن الغريب أن هذه الضرائب في العصر الموحيدي فرضت حتى على الجراد كما فرضت على دواب النقل، بل وحتى على أضحية العيد⁵.

¹ محمد أحمد إسماعيل: ثورات العرب والبربر واليهود، ص 159.

² كانت هناك ضريبة تعرف باسم حقوق الأرض و"المكس" وهو رسم يحصل على الأماكن التي شغلها بضائع التجار حين تطرح للبيع في الأسواق، أو على دكاكينهم في الأسواق، حيث إن الدولة كانت مالكة لتلك الأماكن دون منازع سواء كانت خالية أو دكاكين، انظر: ابن خلدون: المقدمة، ص 250.

³ ابن غازي: روض الهتون، ص 10.

⁴ محمد أحمد إسماعيل: المرجع السابق: ص 161.

⁵ إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 208.

ويذكر لنا البيدق¹ في رواية طويلة فحواها "أن وزيرا قتلت له نعمة فالأزم عامة المدينة بغرامة ألف مثقال...". هذا ما أثر سلبا على أسعار المنتوجات، فلم تكن ثابتة²، لأنها بطبيعة الحال تخضع لتأثيرات سلبية كانت أم طبيعية فكانت ترتفع تارة وتنخفض تارة أخرى³. والسؤال الذي يطرح نفسه: من هو المسؤول عن ضبط أسعار البضائع؟ أو كيف يتم ضبط السعر المسموح به؟.

ففي عام 266هـ/889هـ ظهر فيه "القحط العظيم والغلاء العظيم بإفريقية"⁴. وبيع قفيز القمح بثمانية دينار وقلت الأغذية "فهلك الناس حتى أكل بعضهم بعضا"⁵. أما في العصر الموحيدي وصل الربع من الدقيق بمئقال حشمي في مراكش⁶، فبسبب الغلاء العظيم تنعدم الأقوات ويعوز الناس⁷. فهذا ما يثير حفيظة العامة فتكثر الفتن وتنشب الثورات.

ويشير الونشريسي إلى أن هناك ضريبة تسمى مغرم الأسواق وكانت تجيء من التجار والباعة والصناع بالأسواق، وكان أصل وضعها كما يقول: "عن اتفاق من أهل الحل والعقد قديما لكن بيت المال عاجزا أو قاصرا عنها..."⁸.

¹ البيدق، أبي بكر بن علي الصنهاجي: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة، الرباط-المغرب، 1971م، ص26.

² يذكر ابن خلدون أن تحديد السعر مرتبط بقانون العرض والطلب، ولا يخضع لأي ضغوطات من السلطة الحاكمة إنما هو نتيجة المنافسة في السوق الذي كان يلعب دور موازنة الأسعار ومعادلتها بطريقة تلقائية. أنظر ابن خلدون: المقدمة، ص308.

³ مريم محمد عبد الله حبودة: التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحيدي والحفصي (555هـ-980هـ/1160-1572م)، دكتوراه، جامعة الزقازيق، 2008م، ص189.

⁴ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص117.

⁵ النويري: النهاية، ج24، ص70.

⁶ الحسين بولقطيب: جوائح وأوبئة، ص65.

⁷ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص414.

⁸ الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج5، ص32.

ولا شك أن إرهاب التجار في الأسواق يؤدي إلى كساد تجاري فتضعف الأرباح في المتاجر فيقل الخراج¹.

ويشير صاحب المعيار² أيضا إلى وجود ظاهرة احتكار السلع بالأسواق فيذكر أن بعض التجار الجشعين يلجؤون إلى احتكار الطعام في السوق مما يؤدي إلى ارتفاع الأسعار والإضرار بالناس، فالاحتكار محرم في الشريعة الإسلامية³.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره".

لقد كانت السلطة الحاكمة غالبا ما تقرض مكوسا لتمويل الجيش في حالة عجز بيت المال عن توفير الإمكانيات المادية الضرورية للدفاع عن مصالح الرعية⁴، ويرى ابن خلدون⁵، أن انغماس الدولة في الحضارة والترف يزيد خراج الدولة لذلك تحتاج إلى الزيادة في الجباية.

كما أننا لا ننسى سببا آخر في قيام الحراك الشعبي هو تغيير العملة التي تعكس لنا الأوضاع الاقتصادية بالبلاد فهي توضح مدى التقدم والاستقرار الذي تنعم به وذلك برسم صورة لطريقة التعامل بين أفراد الشعب⁶؛ فلقد قام إبراهيم بن أحمد سنة 266هـ⁷،

¹ ابن خلدون: المقدمة، ص 97.

² الونشريسي: المعيار، ج 6، ص 425.

³ ابن خلدون: المصدر السابق، ص 146.

⁴ الحسين بولقطيب: جوائح وأوبئة، ص 110.

⁵ ابن خلدون: المصدر السابق، ص 250.

⁶ مريم جبودة: التجارة في بلاد إفريقية، ص 201.

⁷ عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999، ص 327.

بصك عملة جديدة سماها العاشرية¹، فقام التجار برد فعل معاكس إذ اجتمعوا على غلق الحوانيت².

وهناك عامل آخر وهو نفوذ اليهود وتحكمهم في الاقتصاد خاصة في دولة بني مرين³، فلقد تمتع اليهود بالثراء والنقود نتيجة تقلدهم مناصب عديدة، بينما نجد جموع الشعب مطحونة تحت أعباء الضرائب⁴.

إذ يؤكد على ذلك حسن الوزان فيقول: "وفي مدينة تدنس مائة منزل لليهود لا يؤدون الجزية لكنهم يقدمون عادة هدايا للأعيان الذين يحملونهم ومعظم سكان من اليهود هم الذين يملكون دار السكة ويضربون سكان المدينة نقود الفضة"⁵.

كما حدث في عهد عبد الحق المريني حيث ولى أمور المسلمين لهارون اليهودي، إذ صار اليهود يتحكمون في المسلمين، وقاموا بإهانتهم هذا ما عجل بقيام العامة بهيئته كان صداها واسع⁶.

نلاحظ أن الجاه والقرباة والنسب والشرف لعب دورا في إعفاء بعض الأشخاص أو البنيويات من الضرائب⁷، أما العامة كانوا وحدهم من يدفعون الضرائب دون غيرهم من الطبقات الاجتماعية الأخرى¹.

¹ ابن عذاري: البيان، ج1، ص121.

² دلال لواتي: عامة القيروان في عصر الأغالبة، ص588.

³ محمد أحمد إسماعيل: ثورات العرب والبربر واليهود، ص163..

⁴ عطا علي محمد شحاتة رية: اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، دار الحكمة، دمشق، سوريا، ط1، 1999م، ص45.

⁵ الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص383.

⁶ مقديش، أبو الثنا محمود بن سعيد الصفاقسي، نزهة الأنهار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: على الزواوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص532.

⁷ محمد فتحة: النوازل الفقهية والمجتمع، سلسلة الأطروحات والرسائل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، 1999، ص244.

2- البواعث الاجتماعية:

تعد الظواهر الاجتماعية من أبرز مسببات الحراك وتحتل الصدارة في تحريك العامة ضد السلطة القائمة، وبالرجوع إلى الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط سنجد أن الجانب الاجتماعي بإيعاز من الجانب السياسي.

لا يمكن إبراز ظاهرة اجتماعية بمعزل عن الظروف المحيطة بها كالمناخ السياسي الذي ترعرع فيه، والاقتصادي الذي تتغذى منه، فعندما نقول التاريخ الاجتماعي فهو يشمل السياسي والاقتصادي، ولا يمكن إيجاد جانب اجتماعي دون أن يلاحظ مدى تفاعله مع الجانب الاقتصادي والسياسي وما هو اجتماعي كذلك.

كيف أسهمت الجوانب الاجتماعية ببروز ظاهرة الحراك ؟ وهل نستطيع القول أن البواعث الاجتماعية لها الدور الأكبر في حراك الساكنة وما هي أبرز المسببات الاجتماعية للحراك؟.

إن ما يميز الشرائح الاجتماعية في التاريخ الإسلامي هو عدم الاستقرار والثبات في أوضاعها بسبب الظروف المتقلبة والمحيطه مما انعكس على تصنيفات المؤرخين القدامى أربك المحدثين².

إذ أننا نجد في المجتمعات طبقات سائدة وهناك الطبقات الشعبية والصراع فيما بينهما فنجد مرحلة العبودية وهم مالكو الثروة ومالكو العبيد ثم تأتي طبقة الجند والتجار ويصنفون كذلك بدرجات ثم المواطنون الأحرار وهم مالكو الأراضي الفلاحية³.

¹ إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ، ص 2014.

² محمد تضعوت: مسألة الحديث من وجود طبقة في العالم الإسلامي خلال رصد الوضع الاجتماعي للتجار في العصر العباسي، ضمن كتاب جوانب من التاريخ للبلدان المتوسطية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مكناس، المغرب، 1991، ص 41.

³ محمود فنون: الطبقات الاجتماعية ومفهوم الشعب، مجلة: دنيا الوطن، نشرته، 28-07، 2013، ص 41.

نجد ابن الفقيه الذي يرتب السكان على أساس وظيفي سلطوي من خلال رؤيته للطبقات حيث يضع التجار في درجة أدنى من المالكين والإقطاعيين ومن القضاة والوعاظ والشرطة بل أدنى من الفلاحين الصغار¹. أما ابن خلدون في مقدمته فقد ربط بين المكانة والجاه والشرف².

وبما أن المجتمع ينقسم إلى طبقات فمن المحتمل وجود طبقات وهم الفقراء والأغنياء بدرجات متفاوتة. فالفقراء يندرج تحت إطار طبقة العامة³، فهم لا يملكون حرية أنفسهم ، ويبدو أن بعض أسيادهم كانوا يخلون عليهم بمؤونتهم لما عبرت عنها الباحثة دلال لواتي⁴، في دراستها على أنها انعكست على وضعية الحرف التي تقوم بها شرائح العامة على طبقاتها الاجتماعية فهي مبذولة لكل دنيء النفس مثل الصناع والحجامين والكناسين التي دعت وصناعة منزلتهم الاجتماعية التي تم وصفها بالحطة والنذالة وأصبحت مضرب المثل لكل ما هو حقير ودنيء وقذر كالإسكافي الذي كان مضرب الأمثال للمكان الذي يحوي كل متناقض ومختلف وعديم القيمة.

ويمكن أن يضاف إلى هؤلاء أنهم: يمتنون اللوصية أو يكونون عالية على المجتمع⁵، وهم من وضعهم القاضي النعمان في الطبقة⁶ السفلى في التدرج الطبقي

¹ محمد تضرغوت: المرجع السابق، ص42.

² ابن خلدون: المقدمة، ص213-294.

³ إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء - المغرب، ج1، ص180.

⁴ دلال لواتي: عامة القيروان، ص219.

⁵ جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون - الجزائر، ص425.

⁶ الطبقة: يقول كارل ماركس: "هي الجماعة التي لها ترتيب اجتماعي معين يتميز بأهمية بالغة في تجسيد وبلورة وعيها الاجتماعي ومصالحها وأهدافها، وأن كل من يعيشون في ظروف اقتصادية معينة تميز نمط عيشهم ومصالحهم وثقافتهم عن طبقات الأخرى وضعهم في تعارض معها يشكلون طبقة. أنظر: دلال لواتي عامة القيروان، ص79.

وأنهم أهل الحاجة، أما الأغنياء فيندرج تحت فئة قليلة إذ ما قورنت بعدد الفقراء وهي تشمل الفئة الحاكمة وقد حققت هذه الفئة بحكم موقعها في قمة الهرم الاجتماعي.

وبحكم كونها صاحبة امتيازات ثروات طائلة باعتبارهم موظفي الدولة فهم مقربون من السلطان قادرون على كسب امتيازات لصالحهم¹.

ولعل أبرز الأسباب الاجتماعية لقيام الثورات التي تمثلت في طبقة المجتمع ونجدها خاصة عند المجتمع المريني وكيف هيمنة الطبقة الأولى الحاكمة الارستقراطية على أمور الدولة السياسية والاقتصادية وتميزهم عن باقي الطبقات ومدى تفاوتها حسب ثروتهم²، وحسب وضعهم الاجتماعي المتميز بالإضافة إلى الظلم الاجتماعي ونفوذ اليهود وتغلغلهم في المجتمع المريني، فالكتلة الثانية من الهرم الاجتماعي قليلة المصادر مقارنة بالفئات الأخرى خلال العصر الوسيط فقد كان يطلق عليها السوق أو العامة ونعتت بأوصاف قبيحة كالغوغاء والأوباش فما يميز الرعية أنها لا تملك الجاه وتعاني التهميش في جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية³.

هذه الفئة الاجتماعية قد تبنت الكرامة الصوفية وذلك بسبب وضعهم الذي آلو عليه كون أن أصحاب هذه الكرامات ينتمون إلى الشريحة السفلى من الهرم الاجتماعي فهم رعاة أو حرفيون بسطاء أو بطالون كما يتضح من خلال النصوص⁴.

فالمتصوفة أصبحت لهم كرامات ومريدون وتشكلت مع الزمن طرق خاصة ببعض المتصوفة وانتشروا في كل أنحاء البلاد الإسلامية أمثال: أبي يعزى:

¹ جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص428.

² محمد أحمد إسماعيل: ثورات العرب والبربر واليهود في المغرب الأقصى، ص08.

³ المرجع نفسه: ص09.

⁴ محمد تضرغوت: مسألة الحديث من وجود طبقة، ص100

ابن العريف، عتاب...الخ. وقد كان لها الأثر البالغ في فساد الأوضاع السياسية والاجتماعية¹.

لكن بالرغم من هذا التفاوت الطبقي من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ومن علاقات استغلالية لا يستهان بها إلا أن هناك أشكال عديدة من التضامن والتكافل أي التنازل بين الأغنياء والفقراء وبين البوادي والمدن وبين الحكام والمحكومين قصد التخفيف من الفوارق الاجتماعية وذلك بالتضامن الجبائي²، أو القيام بالكلف المخزنية المتصوفة يحثون على التصديق على الفقراء.

إن أهم ما يميز طبقة العامة هو مستوى معيشتها المنخفض وسرعة تأثرها بالآزمات التي كثيرا ما تجتاح البلاد، إذ أن هذه الآزمات لم تكن تقتصر على العامة بل يمس الطبقات الأخرى، إلا أن تأثيرها على العامة أكثر ضررا لإمكاناتها الاقتصادية المحدودة³، وعلى حد تعبير الباحث بوتشيش أن الفئات المستضعفة تعجز عن مواجهة المجاعات والأوبئة مما جعلها الأكثر ضررا وغالبا ما كانت هذه المجاعات تنتهي بغلاء شديد وارتفاع صاروخي في أثمان السلع⁴، حيث ذكر لنا ابن أبي زرع في كتابه الأنيس المطرب "وفيها كان القحط واستسقاء الناس وارتفع السعر وبدأت المجاعة وفي سنة أربع وعشرين وسبعمئة كان الغلاء العظيم والمجاعة الشديدة بالمغرب"⁵.

¹ إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ، ج1، ص100

² الحسين أسكان: الدولة والمجتمع، ص، ص302-310.

³ عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510هـ-546هـ/1116م-1151م، تاريخ سياسي وحضاري، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1988، ص، ص281-282.

⁴ إبراهيم القادري بوتشيش: المهمشون في تاريخ العرب الإسلامي، دار الرؤية، القاهرة-مصر، 2014، ص244.

⁵ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص413.

ويؤكد لنا السلاوي أنه عندما اشتد الغلاء بالمغرب والأندلس حتى بيع القفيز من القمح بخمسة عشرة دينارا وعم الجراد بلاد المغرب وكذلك اشتد الوباء والغلاء فأثر الناس بعضهم بعضا وكان يدفن في القفيز الواحد المائة من الناس¹.

وفي سنة 303هـ/918م بدأت شديدة بالأندلس شبهها بمجاعة 260هـ، وبلغت الحاجة بالناس مبلغا لا عهد لهم بمثله وبيع قفيز القمح في سوق قرطبة بثلاثة دنانير، دخل أربعين وقع وباء بالناس وكثر الموتان².

حيث قال ابن هشام البشنسي: "نالت أهل الأندلس مجاعة شديدة صَدَرَ أيام الأمير عبد الرحمان سنة سبع ومائتين وكان سببها انتشار الجراد بالأرض ولمسه الغلات وتَزَدَّدَ بالجهات فنالت الناس مجاعة عظيمة في كفن حدها الأمير بإطعام الضعفاء والمساكين من أهل قرطبة"³.

نستنتج في الأخير أن العوام في نظر السلطة الحاكمة ومؤرخي البلاط لا يحق لها إلا الطاعة والانقياد حتى يصطلح على تسميتها الرعية أو الناس أو الجمهور، أما غير ذلك فهم أوباش وهمج وسفلة وغير ذلك ومهما حاولوا تجريد العامة من دورها الحضاري إلا أن هذه الأخيرة فرضت وجودها وقامت بدورها الطبيعي في تنشيط الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية⁴.

¹ السلاوي: الاستقصا، ج2، ص264.

² حسين مؤسس: موسوعة تاريخ الأندلس وتاريخ وفسر وحضارة وتراث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة- مصر، ط1996، ج1، ص265.

³ ابن حيان القرطبي: المقتبس من أبناء أهل الأندلس. تحقيق: محمود علي مكي، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، 1994م، ص225.

⁴ مليكة عدالة: عامة الأندلس في العصر الموحي، ص31.

الفصل الثاني:

تجليات الحراك الشعبي

أولاً: في بلاد المغرب

ثانياً: في بلاد الأندلس

يكتسي الفعل الحراكي في تاريخ المغربي والأندلسي أهمية تاريخية، يمكننا القول من خلالها إننا نرتكب خطأ فادحا إذا أغرقنا المسألة في السرد والاستعراض. وتأسيسا على ما تناولناه في الفصل السابق، سيشغل هذا الفصل على سبر الخلفيات والبواعث السياسية والاجتماعية والاقتصادية، لتبرز بوضوح من خلال حركات شعبية سواء كانت مؤطرة بفعل فاعل، أو كانت على شكل ثورة عارمة، أجبتها الأحقاد والظلم، مما يتعرض له الساكنة. وفي هذا المنظور التاريخي نركز النقاش في هذا الفصل حول ثلاث نقاط رئيسية، هي:

- تأطير الحركة الاجتماعية.
- سيرها وتنظيماتها.
- رد فعل السلطة القائمة اتجاهه.

ولعله من المفيد أن ننوه بالقول أن في هذا الفصل لن نتناول الحراك من منظور ثورات عسكرية بل من منظور مغاير لما تناولته الأستوغرافيا التاريخية الوسيطية.

أما رؤيتنا للموضوع فإننا ننطلق من زاوية النظر لما لها في حكم أنها حراك ذو طابع سلمي احتجاجي حيال قرارات للسلطة أو حراك من أجل تغيير وضع سيء.

وإذا جاز لنا القول في هذا الإطار فإن تجليات الحراك الشعبي في العدة الأندلسية والمغربية التي لها علاقة مباشرة بالأحداث التي سندرجها في هذه الجزئية حول فيما يصح القول بوجود حراك شعبي في العدوتين وهل لها نفس التنظيم وسير في فترة المعاصرة وليس الغرض من كتابة هذه الأسطر ربط الماضي بحاضره لأن الأمر لا يتعلق بسرد "تأريخي" لوقائع الحركات الشعبية إن الغرض من القول هو قيام

بتحليل مع نوع من تأويل الاجتهاد في إعطاء صورة كفيلة بإمكاننا القول على وجود حركة شعبية مؤطرة في مغرب عصر وسيط ومع أفقنا الذي يعطيه تحليلنا لهذه النقطة فإننا سننطلق في البحث على هذا العنصر على منهجين لماذا منهجين؟

لأنها اختبار بين بديهيتين فالرأي أن تطبيق الدارس من فكرة دون أن يدرك مكوناتها ليطبقها على مادة دون أن يتحرى مسبقا هل تتحملها أم أن يكتب حول الحرية وحراك في مغرب الوسيط... الخ وحتى ولو كانت الوثائق المعتمدة كلها صحيحة لكاتب كل تأويلات غير مستبعدة فإن الدراسة على هذا الأساس أي بدون وعي معرفي سابق تبقى مجرد دراسة سردية فقط لها.

لذا مسألة المنهج أضحت أكثر من ضرورية في هذه الحال منهجين في هذا العنصر ينحصر في الأول تكوين ويعتمد على المادة المخزونية في أصناف المدونة الترابية وثاني تفكيكي ينطلق من النظامية والمنسقة ليقسمها إلى أجزاء في التمكن من نقل الفكرة المجردة ثم نعيد صياغتها بما يتناسب مع جزئية الدراسة.

ونتساءل حول ما هي تجليات الحراك الشعبي؟ وكيف أطر؟ وكيف سيرت حركاته؟ وهذا ما سنحاول الإجابة عليه.

أولاً- في بلاد المغرب:

1- في العهد الأغلبي:

أ- انتفاضة خريش (186هـ/802م):

قامت هذه الانتفاضة سنة (186هـ/802م)¹ بتونس في عهد إبراهيم بن الأغلب²، بقيادة رجل اختلفت المصادر في ذكره فقد ذكره ابن الآبار بخريش بن عبد الرحمن بن خريش الكندي³. وسماه الرقيق القيرواني بحميديس⁴، واكتفى ابن عذارى بتسميته بالكندي⁵، وكان خريش صهر الحسن بن حرب الكندي هذه الأسرة من أعرق الأسر في تونس أي أنها وصلت إليها قبل قيام إمارة بن الأغلب وقد حافظت على تقاليد الأمويين⁶.

ولقد أكدت جميع المصادر التاريخية بأن هذه الانتفاضة بعيدة كل البعد عن ثورات الجند أي أنها ثورة عوام⁷، وحركته قائمة على الجماهير⁸.

لقد بدأت هذه الانتفاضة بالخفاء وجوبا ما كان يحدث في العصر الوسيط. استطاع خريش أن يجمع حوله جموع كثيرة ويأتي بعرب أهل البلاد وبربرها.

¹ محمود إسماعيل: الأغلبية (184-296هـ) سياستهم الخارجية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ط3، 2000م، ص29.

² محمد محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة-مصر، ط1988، م1، ص122.

³ ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القذاعلي، الحلة السرياء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف القاهرة-مصر، ط1963، م1، ج1، ص102.

⁴ الرقيق، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: محمد زينهم، دار الفرجاني، ط1994، م1، ص135.

⁵ ابن عذارى: البيان، ج1، ص93.

⁶ محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص159.

⁷ المرجع نفسه: ص59.

⁸ نفسه: ص164.

ويمكن أن نتساءل هنا: من أين استطاع خريش أن يجمع لنفسه هذا الكم الهائل من العامة مع العلم بأنه لم يكن قائدا للجند؟

وقد جعل لانتفاضته شعاراً "بغداد بغداد، فلا والله لا اتخذتهم لكم طاعة بعد اليوم أبدا"¹، ولقد ردد شعاره هذا أنه قائما على دعوة الحق مستشهدا بكلام على بن أبي طالب رضي الله عنه²، وهذا لاستمالة وجذب الجماهير من حوله، فلقد كان يبرز أسباب خروجه هو إقامة العدل إلا أن السبب الحقيقي لهذه الانتفاضة كان بالدرجة الأولى سياسيا مذهبيا³.

فالمتتبع لهذه الانتفاضة يلاحظ أنها موجهة ضد الخلافة العباسية⁴، ولم تكن موجهة لإبراهيم ابن الأغلب⁵، وهذا دلالة على عدم الطاعة للخلافة في المشرق والتمرد عليها⁶، لإنهاء نفوذها في إفريقيته⁷.

لقد ساعدنا في ذلك ابن الآبار على كشف الأمور إذ لم يهتم بالغرض النهائي ولقد أورد لنا الرسالتين المتبادلة بين الثائر والأمير⁸، ونفهم من هذه الرسالة أنها ليست موجهة للأمير الأغلب بل هي موجهة لبني عباس، ولم يرد الاعتراف بسلطتهم بأي ثمن بقوله: "أنتظر أن تفنيكم"، وكأنه يوجه رسالة من أهل الحق وهم بني أمية إلى

¹ النويري: النهاية، ج24، ص55.

² دلال اللواتي: عامة القيروان، ص585.

³ محمد الطالبي: المرجع السابق، ص162.

⁴ دلال لواتي: عامة القيروان، ص585.

⁵ إبراهيم بن الأغلب: عين سنة أربع وثمانين ومائة من قبل هارون الرشيد، كان فقيها، عالما، شاعرا ذو رأي وبأس وحزم، وعلم بالحروب ومكانها، حسن السيرة، بالرعية، توفي سنة ست وسبعين ومائة وعمره ست وخمسين. انظر: الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص128.

⁶ محمد الطالبي: المرجع السابق، ص162.

⁷ محمود إسماعيل: الأغلبية، ص27.

⁸ الملحق، رقم01.

كفار بني العباس وأمره بالرجوع إلى سيده، فيما كان الأمير الأغلب بصيغة الترسيل " من الأمير إلى رأس الظلال" أي اعتبره كافرا.

بعث إبراهيم الأغلب جيشا بقيادة عمران بن مجالد¹، وحمزة بن السباك²، والنقوا بسبحة واقتتلوا قتالا شديدا وكثر بينهم القتل، حتى قتل خريش وانهزم أصحابه³، وفي رواية ابن الأثير⁴، قتل منهم عشرة آلاف رجلا.

نلاحظ أن هذه الثورة قامت مبكرا على ميلاد الدولة الفتنية إلا أنها سحقت بسرعة، وهذا ما يدل على عدم الرضى الشعبي على النظام الجديد، ولقد ربط لنا الطالب هذه الانتفاضة في تونس قامت بتدعيم العلويين بفاس⁵.

ولا شك أنه يمكن إسقاط هذه الثورة ضد الحكم في الوقت الحالي، فإن الفئات القائمة على التطرف أو المنتهجة لحزب ما غالبا ما تلجأ إلى استمالة الأفراد إليها وإثارة الفتنة الطبقية والحرقات فتنشب الثورات.

ب- انتفاضة القويبع (234-236هـ/848-850م):

تعتبر انتفاضة القويبع⁶، من أهم الانتفاضات التي شهدتها عهد محمد ابن الأغلب، في تونس⁷، وكان صداها واسع إذ بلغ القيروان⁸.

قاد هذه الانتفاضة شخص يدعى عمر بن سليم التجيبي المعروف بالقويبع¹، ويدل نسبه على أنه عربي من بني تجيب ينحدر من مجموعة قبائل كندة²، أي عرب

¹ ابن خلدون: المقدمة، ص1024.

² دلال لواتي: عامة القيروان، ص586.

³ النويري: النهاية، ج24، ص55.

⁴ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص313.

⁵ محمد الطالب: تاريخ الدولة الأغلبية، ص164.

⁶ ابن عذارى المراكشي: البيان، ج1، ص110.

⁷ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج1، ص102.

⁸ عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص310.

عرب الجنوب³، ويجزم الطالبى على أن هذه الانتفاضة هي "ثورة الشعب على الجور، فهي لم تكتسى بالمرة مميزات الثورات التي يقوم بها الجند وقادتها"⁴، مما يرجح أن هذه الثورة ثورة عوام⁵.

ومن هنا نتساءل: ما هي الدوافع والأسباب التي جعلت الثائر أن يخاطر بنفسه؟. لقد أثارت هذه الانتفاضة نقاشا سياسيا في بلاط الأمير محمد الأغلبى (226-242هـ/840-846م)⁶. وقد جاء بالمدارك⁷ أنه لما ثار القويى على محمد بن الأغلب قال بعض القواد: اليوم نستكن من سحنون إما يخسر دينه أو دنياه!"، فقالوا الأمير: "سحنون داعية مطاع فمره ينصرك على هذا الخارجى"، فبعث فيه الأمير وأعلمه بالأمر واستشاره في قتاله وأن يعلم الناس بفرض ذلك عليهم فقال له سحنون: غشك من ذلك على هذا متى كانت القضاة تشاورها الملوك فى صلاح سلطانها؟ ونهض من عنده".

وكانت هذه الانتفاضة ذات اتجاه عامى وصاحبها يبحث عن العدل، واكتسى شكل الرفض للسلطة بالخصوص فى هذا الهيجان الامتناع عن الظلم والجور من قبل السلطة الحاكمة وتحقيق بواجب الحسبة⁸، أى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر،

¹ ابن الأثير: المصدر السابق: ص102.

² محمد الطالبى: تاريخ الدولة الأغلبىة، ص27.

³ القلقشندي أبى العباس أحمد: نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبيارى، دار الكتاب اللبنانى، بيروت-لبنان، ط1980، م2، ص409.

⁴ محمد الطالبى: المرجع السابق، ص276.

⁵ دلال لواتى: عامة القيروان، ص587.

⁶ المرجع نفسه، ص586.

⁷ عياض: أبو الفضل بن موسى اليحصي السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك، تحقيق: القادري الصحراوي، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط3، 1983، ج4، ص64.

⁸ كانت الحسبة فى البداية عملا دينيا يقوم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، يتولاه المحتسب، ثم ما لبثت حتى تحولت ولاية الحسبة عن الرقابة الأخلاقية، حتى اقتصرت وظيفتها فى الأساس على تتبع المخالفات التجارية

وهذا ما أدى بالفقهاء بإثارة المشكل وأرادوا الإمام سحنون وكان هدفهم الإطاحة به في كلتا الإجابتين، فإذا اختار نصح الخارجي سيخسر دينه ، لأن هذه الانتفاضة اعتبرت ثورة الحق ضد الجور ، وأما إذا رفض أن ينصح الخارجي ويؤيده ويناصره بطبيعة الحال سيخسر دنياه مع الأمير، إما يقتله أو يعزله¹

إلا أن سحنون اتخذ الحياد بإجابته "غشك من ذلك على هذا، متى كانت القضية تشاورها الملوك في صلاح سلطانها"²، ونفهم من إجابة سحنون تذكير الأمير بانفصال السلطة السياسية والفقهية والقضاء"، إذ لم يكن يهب سلطان في حق يقيمه³.

أشار الطالب إلى أن هذا الحياد يعتبر تدعيما ضمنيا لهذه الانتفاضة لأن هذا التأثير لم يكن مذنباً في نظر الفقه⁴، ولقد دلت جميع المصادر بالإجماع على أن ثورة القويبة ثورة عدلاً حلالاً، هذا ما يفسر الخيار الذي أريد سحنون أن يقع فيه والموقف الذي اتخذه.

وبعد أن وجد التأثير عطفاً وتأييداً لانتفاضة واستطاع أن يجمع حوله خلقاً كثيراً واشتد بركان الثورة والغضب، وأصبح يضايق السلطة الحاكمة. هنا وجه الأمير الأغلب جيشاً بقيادة خفاجة⁵، للقضاء على هذه الثورة وإعادة الوضع إلى نصابه، فحاصر التأثير طيلة سنة (234هـ)⁶، إلا أن هذا الجيش لم يكن بتلك القوة المطلوبة

في المدن الإسلامية وتعزيز وتنفيذ العقوبة. أنظر: كمال السيد مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي عصر المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب، ص309.

¹ دلال لواتي: عامة القيروان، ص587.

² عياض: ترتيب المدارك، ج4، ص6.

³ أبو العرب، محمد بن أحمد التميمي القيرواني، طبقات علماء إفريقية وتونس، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ص101.

⁴ محمد الطالب: تاريخ الدولة الأغلبية، ص275.

⁵ عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية- مصر، 1999، ص310.

⁶ ابن عذاري: البيان، ج1، ص110.

لمواجهة هذه الثورة القوية، فشل القائد خفاجة بن سفيان للقضاء على هذه الثورة فهزم وعاد إلى الأمير الأغلبي¹، فأخرج في السنة الموالية 235هـ² جيشاً آخر بقيادة موسى المعروف بالعريان، فالتحمت المعركة قرب تونس.

وما يميز عامية هذه الثورة هو انضمام الموالي ابن الأغلب إلى القويبيع، ولأول مرة يلتحم العامة والموالي في ثورة واحدة³، "فوقعت على محمد بن موسى هزيمة وأسر أحد قواده بعد أن انكسرت رجله، ثم طعنه ولد القويبيع طعنة كان فيها حقه فقتل كثيراً من أصحابه، وانصرف باقي الجيش إلى ابن الأغلب مفلولين واشتدت شوكة القويبيع"⁴، فوجه الأمير مرة ثالثة جيشاً قويا بقيادة خفاجة⁵ إلى تونس عام 236هـ/850م⁶، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانتهت بسحق الثوار⁷ وقتل منهم خفاجة خلقاً كبيراً.

ولجأ القويبيع إلى الفرار، فضرب جندي عنقه وحمل رأسه إلى محمد ابن الأغلب ودخل خفاجة وجيشه إلى تونس وواصلوا القتال وسفك الدماء ووقعت نساء المدينة في أسرى...⁸. أثارت هذه السياسة مشكلة في القيروان وكادت أن تقوم ثورة أخرى لولا تدخل سحنون في تحريرهن⁹.

¹ محمد الطالبي: تاريخ الدولة الاغلبية، ص310.

² ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج6، ص102.

³ دلال لواتي: عامة القيروان، ص588.

⁴ ابن عذارى: البيان، ج1، ص110.

⁵ ابن الأثير: : الكامل في التاريخ: ج6، ص102.

⁶ ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص110.

⁷ محمد لطالبي: الدولة الأغلبية، ص277.

⁸ ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص102.

⁹ محمد الطالبي: المرجع السابق، ص297.

ج- اعتصام أهل القيروان [ثورة الدراهم] (275هـ/888م):

يعكس لنا النقد أو العملة المتداولة في بلاد ما الأوضاع الاقتصادية بالبلاد، فهي توضح مدى التقدم والاستقرار الذي تنعم به وبذلك برسم صورة لطريقة التعامل بين أفراد الشعب عن طريق القيمة العملة وقوتها الشرائية نستطيع أن نتوقف على مدى قوة النظام الاقتصادي في دولة ما وحظها من الرفاهية¹.

ففي سنة (275هـ/888م) قامت حركة احتجاجية كان سببها إصلاح مالي للنقد قام به إبراهيم الثاني، وقد أطلق عليها ابن عذارى²، بثورة الدراهم، فقد عمد الأمير بضرب الدراهم صحيحة وقطع كل ما يتعامل به من الدراهم.

ومن هنا نتساءل: ما هي الأهداف والأغراض الصريحة من هذا الإصلاح؟ وكيف كان رد فعل العوام من هذا التغيير؟.

ولقد أكد لنا الطالب³ أن إبراهيم قام بتخفيض عيار الدراهم في نفس الوقت الذي كان كل شيء يحول إلى نقود تخفيض العملة لتغذية بيت المال بالقطع النقدية بصورة أوفر، وبما أن النقد الرديء يطرد النقد الجيد، حيث أن القطع الفضية هي التي خضعت لجميع التغييرات وأن النقود الذهبية لم تخضع أي زيف وذلك بتطهير العملة الفضية التي كانت كثيرة التهور بضرب دارهم صحيحة وقطع ما كل ما يتعامل به من الدراهم فأكرت ذلك العامة وغلقوا الحوانيت⁴.

واكتسى شكل هذا الرفض من الامتناع من تغيير العملة وعارضوا بالفعل على قرار الأمير، لأنهم ضجوا من إناطة مصيرهم. ويبدو واضحاً عدم فهم التجار والعوام الغرض من هذا الإصلاح النقدي، ودل هذا الهيجان عن حيوية أهل المدينة. إذ كان

¹ مريم محمد عبد الله جبوده: التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس، ص201.

² ابن عذارى: البيان، ج1، ص120.

³ محمد الطالب: الدولة الأغلبية، ص312.

⁴ ابن عذارى: البيان، ج1، ص120.

لهذا التغيير ردود أفعال معاكسة وقد وصفها الطالب¹ بالهيجان لأن هذه العملة أضرت بعدة مصالح فلم يرض التجار بهذا الإصلاح. فقاموا بالاعتصام إذ أغلقوا الدكاكين وقاموا بالتمرد على إبراهيم الثاني إذ خرجوا صائحين عليه، فقد كانت عبارة عن مظاهرة عفوية قاموا بها أصحاب الدكاكين بالقيروان.

ونجد أن هذه الهيجاء قادرة على رد فعل بصورة عنيفة من شأنها أن تغير سياسة الحكومة²، ولقد عبرت عنه الباحثة دلال لواتي³، على أن هذه الهيجاء أكبر مواجهة بين السلطة والعامّة.

وبعد اجتماع العامة والتجار وغلقهم للحوانيت بقيادة مقر إمارة بني الأغلب فقد تم حبسهم في الجامع، فثار أهل القيروان واشتعلت نيران الغضب، فطلب الأمير من وزيره أبي عبد الله إسحاق أن يهدئ من ثائرتهم فلم يفلح فاضطر الأمير الأغلب للخروج إليهم بنفسه⁴ مع حاجبه نصر بن الصمصامة في جماعة من الجند فناصب أهل القيروان القتال فتوجه الأمير إلى المصلى وهدأ الناس وبعث إليه أهل القيروان فقيهم أبا جعفر أحمد بن معتب فتباحث مع الأمير واتفقا معه على إطلاق المحبوسين من جامع رقادة وإلغاء القطع من إفريقية وعلى إثر ذلك هدأت النفوس⁵ القيروان وقد صرح الطالب⁶، بأن هذا الاعتصام انتهى بدون إراقة دماء.

¹ محمد الطالب: المرجع السابق، ص 315.

² المرجع نفسه، ص 315.

³ دلال لواتي: عامة القيروان، ص 684.

⁴ محمود إسماعيل: الأغلبية، ص 187.

⁵ عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص 327.

⁶ محمد الطالب: تاريخ الدولة الأغلبية، ص 315.

2- العهد الموحيدي (حركة الأشل) (589هـ/1194م):

تعتبر حركة الثائر الأشل من أهم الحركات الاحتجاجية ضد سلطة الموحدية¹، التي أدت إلى حدوث اضطرابات في المغرب الأوسط، إلا أن المعلومات حول هذه الحركة ضئيلة جداً، تكاد تخلو من المصادر الوسيطة، قد ارتكزت على أخبار "ابن عذارى" الذي فصل في أحداثها، لكنه لم يبين لنا هوية الثائر ولا أسباب وخلفيات هذه الثورة، وراح ينزل سخطه على هؤلاء الملتقيين حول الحركات الاجتماعية وبات ينعلها بأندل الصفات ، وقد أشرنا في ذلك سابقاً.

وفي ظل هذه الأوضاع المتردية كيف كان رد فعل العوام؟ وما هي الأسباب والخلفيات التي أدت بقيام هذه الحركة؟

لقد قام هذا الثائر ببلاد الزاب²، وتعتبر حركته حركة عوام، لأن أتباعه كانوا من العامة واستطاع الأشل أن يجمع حوله جموع غفيرة من حوله واتبعه خلق كثير من العوام، وخاصة أنه كان يدعي بمعرفة الغيب، فاتبعه السواد الأعظم من الناس أملاً منهم لتطلع إلى أوضاع أحسن.

إذ يقول ابن عذارى³: "فكان يلقي لأصحابه بالغايات لزعمه من الحدثان وضروب غير معقولة من الهذيان بأنه موعود بأمره وأن الآراجيز نصت على خبره"، ويقول أيضاً⁴: "دعا لنفسه واجتمع له شرمذة من العرب وبايعة كثير من أهل تلك الجهات والتأمر عليه أشتات من الناس من الجبال المجاورة له من كل صنف من الغوغاء والسفلة والغرباء، فاستعجل أمره واستغل جهره وشاع في تلك البلاد ذكره".

¹ الحسين أسكان: الدولة والمجتمع، ص 315.

² المرجع نفسه: ص 315.

³ ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص 215.

⁴ المصدر نفسه: ص 215.

لقد اتخذ الأشل أسلوب الدعاية لنفسه وكانت تنطوي على كثير من الحيل من أجل نجاح ثورته¹. ويبدو أن هذه الحركة الاحتجاجية نجحت في خلق الكثير من المشاكل في بلاد الزاب حتى أفلقت السلطة الموحدية.

لقد ساهمت شخصية الأشل بقدر كبير في استقطاب عدد لا يستهان به من العامة، ولم يتمكن المنصور من القضاء عليه، فلجأ إلى السيد أبو زكريا صاحب بجاية، فلجأ هذا الأخير إلى حيلة لما رفضوا مساعدته²، فخدعهم بالتودد إليهم وإظهار محاسنهم ووعدهم بمكافأة من الخليفة ولما التحقوا به إلى القلعة لتسلمها، ألقى القبض على أبنائهم وخيرهم بين رؤوسهم ورأس الأشل³. قبض على الأشل ففصل رأسه وذراعيه وعلقوا ببجاية⁴.

لقد استطاع الأشل جذب العوام بالرغم من تنوعها البشري والعرقي والديني في بلاد المغرب الأوسط، ولقد استغلهم في الضغط على السلطة الموحدية، كما استطاع توسيع قاعدة أتباعه وبذلك لم يجد بقية العوام الذين يعيشون تحت ضغط الاضطرابات السياسية والأوضاع الاجتماعية المتدهورة والمتدنية، سوى الانضمام والالتفاف حول الثائرون للتعبير عن واقعهم المعيشي المتأزم.

3- في العهد المريني (هيعة أهل فاس على اليهود) (869هـ/1465م):

لا تستطيع أي حركة في بلاد المغرب أن تصل إلى القواعد الشعبية بدون رفع شعارات ليثبتوا أنهم حماة للإسلام والمسلمين⁵. ونلاحظ حركة هؤلاء ذات دلالة سياسية

¹ فوزية كرراز: عامة المغرب الأوسط في ظل السلطة الموحدية، دكتوراه، جامعة وهران-الجزائر، 2015م، ص138.

² ابن عذاري: البيان، قسم الموحدين، ص215.

³ فوزية كرراز: عامة المغرب الأوسط، ص138.

⁴ ابن عذاري: لمصدر السابق: ص215.

⁵ علي محمد الصلاحي: صفحات من التاريخ الإسلامي، ص319.

أكثر منها دينية، إذ قربوا اليهود من مقاليد الحكم¹، بالرغم من المعارضة الشديدة للفقهاء لهذه السياسة، لأن تاريخ اليهود مليء بالدسائس والمؤتمرات منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

لقد عمل السلاطين المرينيين باستخدام اليهود في الإدارة بل وحتى في أماكن حساسة للغاية، فازداد نفوذهم السياسي والاقتصادي، فكان منهم الحاجب والوزير². فدبت الثورات في جسد الدولة المرينية في عهد السلطان للضعيف الذي قرب اليهود للحكم وانفرد بحياة اللهو والملذات ولم يهتم بأمور الرعية³. هذا ما أدى إلى انفجار بركان الثورة والغضب، وقام أهل فاس بهيعة لم يسبق لها مثيل في عهد السلطان عبد الحق⁴.

ولقد بدأت أحداث هذه الهيمنة عندما قبض على الوزير حسين اليهودي صاحب الشرطة على امرأة شريفة من شرفاء الحسينيين من حومة البليدة⁵، وانهاه عليها بالضرب ولما أهلكها وألتهبها السياط جعلت تتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم ولما سمع اليهودي اسم الرسول صلى الله عليه وسلم شدد عليها الضرب وبالف في تعذيبها وإهانتها.

سعى اليهود إلى تحقيق مصالحهم ومصالح الجالية اليهودية⁶ وأدى بهم الأمر للتناول على العرب المسلمين من خلال قوة مناصبهم الإدارية⁷، خاصة في عهد آخر

¹ علي أحمد : مجلة دراسات تاريخية: اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصر الوسيط، العدد: 58/57، 1996م، ص 177.

² محمد أحمد إسماعيل: ثورات العرب والبربر واليهود: ص 244.

³ الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص 156.

⁴ السلاوي: الاستقصا، ج 4، ص 99.

⁵ محمد أحمد إسماعيل: ثورات العرب والبربر واليهود: ص 244.

⁶ علي أحمد: اليهود في الأندلس والمغرب، ص 177.

⁷ الزركشي: المصدر السابق، ص 156.

سلاطين بني مرين لعبد الحق بن أبي سعيد بن أبي العباس (823-829هـ/1320-1465م)¹.

نلاحظ تمتع اليهود بالثراء والرخاء²، بينما نجد جموع من الشعب مطحونة تحت أعباء الضرائب التي فرضت عليهم وكانت الدولة لا تتدخل إلا تحت ضغط الشعب³. لقد عظم شأن اليهود وقوي نفوذهم عند السلطان بالتدخل في كل صغيرة وكبيرة وتمادوا في إذلال المسلمين، وهذا ما أثار حفيظة العامة فاضطربت أحوال الدولة. وعندما انتشر الخبر في أرجاء المدينة، التف العوام في صورة الغضب والغليان من سياسة التعسف، متضامنين مع المرأة الحسينية وكانت هذه الحادثة سببا في اندلاع بركان الثورة والغضب⁴.

ولم يكن العوام يحتجون لفرض حقوقهم المعتادة والإعراض عن مظالم معينة فقط بل أحيانا ما كانت تجمعهم للمطالبة بصدور حكم معين في قضية معينة. وزاد اشتعال نار الثورة بخطبة الفقيه الوريالكي، الذي حفز العامة⁵، من أجل التخلص من الظلم والتعسف والإذلال الذي كان يمارس اليهود على العرب المسلمين.

هنا اضطروا على مبايعة الشريف عبد الله في رمضان (869هـ/1465م)⁶ فالتف عليه الخاصة والعامة، ثم تقدم الوريالكي بهم إلى فاس الجديدة فصمدوا إلى حارة

¹ مقديش، أبو الثنا محمود بن سعيد الصفاقص: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق الزاوي ومحمد محفوظ، دار المغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1988، ص 531.

² الوزان: وصف إفريقيا، ج 1، ص 283.

³ عطا علي محمد شحاتة رية: اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، دار الكلمة، دمشق-سوريا، ط 1، ص 45.

⁴ ابن أبي زرع: الذخيرة، ص 160.

⁵ محمد أحمد إسماعيل: ثورات العرب والبربر واليهود، ص 246.

⁶ الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصيين، ص 156.

اليهود وقتلوهم واستولوا على أموالهم واقتسموها¹، وعندما علم السلطان بهذه الثورة كان خارج فاس، راح يهدن أوطانه وليضايق بني وطاس الذين أخذوا له طنجة وتازا، ثم قرر العودة مسرعا إلى فاس²، فخرج عليه جنده فتأكد السلطان بالثورة³.

ولما اقترب إلى فاس استشار هارون اليهودي فلما نزل قال له اليهودي: "لا تقدم على فاس لغليان قدر الفقه بها، وإنما يكون قدومنا إلى مكناسة الزيتون لأنه بلدنا بها قوادنا وشيعتنا وحينئذ يظهر لنا ما يكون"⁴، فلم يكمل هارون اليهودي كلامه حتى قتل بالرمح من طرف أحد رجال بني مرين يدعى تيان وقال: "مازلنا في تحكم اليهود وإتباع رأيهم والعمل بإشارتهم"، ثم تناوشته السهام من كل مكان وخر صريعا اليدين والفم⁵، ثم قالوا للسلطان عبد الحق "تقدم أمامنا إلى فاس فليس لك اليوم اختيار في نفسك"⁶. ثم قبض على السلطان عبد الحق المريني واعتقل ثم قتل يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان (869هـ/1464م)⁷.

كانت هذه الهيئة آخر الثورات ضد بني مرين، وانتهت وغربت شمس الدولة المرينية للأبد⁸، وعادت الخلافة الإدريسية إلى المغرب الأقصى من جديد⁹.

¹ السلاوي: الاستقصاء: ج4، ص99.

² الزركشي: المصدر السابق: ص156.

³ محمد أحمد إسماعيل: المرجع السابق: ص253.

⁴ السلاوي: الاستقصاء، ج4، ص100.

⁵ المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

⁶ نفسه: الصفحة نفسها.

⁷ محمد أحمد إسماعيل: ثورات العرب والبربر واليهود، ص253.

⁸ الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص156.

⁹ محمد مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ص531.

ثانيا - في بلاد الأندلس:

لقد تأثرت الأندلس بالأحداث التي دارت على الساحة المغربية، وتأثرت بما يدور فيها من تطورات اقتصادية واجتماعية للصلة القوية التي تربط بين البلدين، فلأندلس امتداد طبيعي وبشري للمغرب من جهة ولأن قرطبة تتبع القيروان من الناحية السياسية والإدارية من جهة أخرى.

وتعتبر العامة الطرف الأساسي في استتباب الأمن و إثارة الفوضى، ذلك هو حال عامة الأندلس عندما عبّر عنها "ابن سعيد" بأنها "من أكثر الناس فضولا، وأشدّهم تشغيلا ويضرب بهم المثل ما بين أهل الأندلس في القيام على الملوك، لذلك وجدت بعض النصوص التي تبين المعارضة الحقيقية التي أبدتها العوام للسلطة".

1- في العهد الأموي (هيج الربض):

لم يكن الحكم الربضي بن هشام مثل أبيه أوجده فقلد كان خليفة صارما طاغيا جبارا¹، انشغل بحياة اللهو وانهمك في المذاذات وشرب الخمر كما أنه جهر بالمنكرات، وحجب نفسه عن الرعية². وكانت قرطبة عاصمة الخلافة دار العلم والورع والحديث فذاق بالناس ما رأوه من جبروت "الحكم"، فكان الشعب القرطبي ينتظر الفرصة السانحة للإيقاع به، إذ تأثر هذا الشعب بدعاية الفقهاء والعلماء، واتهموه من فوق المنابر بالقسوة والخروج على أحكام الدين³.

يؤكد ذلك ابن الأثير⁴: "وكان سبب وقعة الربض أن الحكم بن هشام صاحبها، كان كثير التشاغل باللهو، والصيد والشرب وغير ذلك مما يجانسه، وكان قد قتل

¹ عبد الواحد المراكش: المعجب، ص30.

² ابن خلدون: العبر، ج4، ص161.

³ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص335.

⁴ المصدر نفسه، ج5، ص414.

جماعة من أعيان قرطبة فكرهه أهلها"، وصاروا يتعرضون لجنده بالأذى والسب إلى أن بلغ الأمر بالغوغاء أنهم كانوا ينادون عند انقضاء الآذان: الصلاة يا مخمور الصلاة".

استمر الفقهاء دون كلل أو ملل في تحريض الناس للثورة على الأمير الحكم باستغلالهم لدروس الوعظ والإرشاد المكثفة في المساجد¹، وتآمر من الفقهاء الكل من مالك بن يزيد بن يحيى التجيبي ويحيى ابن مضر القسي، وموسى بن سالم الخولاني لخلعه لكن الحكم اكتشف المؤامرة قبل نضجها سنة 189هـ/805م، وقبض على اثنين وسبعين رجلا من العلماء والفقهاء فعدمهم وصلبهم ونجي منهم البعض مثل: يحيى بن يحيى، وعيسى ابن دينار وطالوت²، وهذا ما زاد في إثارة حفيظة العامة وحتى الخاصة وأدخل في قلوبهم البغضاء، فأحس الحكم بالخطر فعمل على تقوية المدينة وبناء الأسوار وحفر الخنادق تحسبا لأي عمل من جانب أهل قرطبة، ولقد زاد في أسعار البضائع ووضع عليهم ضرائب مجحفة، وازدادت الأوضاع سوء بعد حدوث المجاعات وكثرة الأموات وانحباس الأمطار³.

ثم وقعت حادثة كانت سبب في هيجاء العامة مرة أخرى إذ عمد "الحكم" على قتل عشرة رؤساء العامة وقادتهم فصلبهم، إضافة إلى أنه قتل أحد من المماليك ظلما وقهرا إذ سلم له سيف ليصقله فأخذ ذلك المملوك السيف فمطله، ولم يزل يضرب به ذلك الصقيل إلى أن مات⁴. هنا اضطربت قرطبة إذ تجمع أهالي الريض القبلي

¹ محمد خالد مصطفى المنوني: الفقهاء وثورة أهل الريض في الأندلس، دكتوراه، الجامعة الأردنية، الأردن، 1990، ص 180-306.

² ابن خلدون: العبر، ج4، ص161.

³ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص414.

⁴ النويري: نهاية الإرب، ج23، ص77.

بجنسياتهم ودياناتهم ومراكزهم الاجتماعية بعض النظر عن أعمالهم وانطلقوا ناقلين على الأمير الحكم ثأرين عليه منادين بخلعه، متجهين لقصره¹.

أما ابن عذاري² يقول: "كان أصله الأشر والبطر، إذ لم تكن ضرورة من إجحاف في مال ولا انتهاك لحرمة، ولا تعسف في ملكه، والحال تدل على صحة ذلك، فإنه لم يكن على الناس وظائف ولا مغارم ولا سخر، ولا شيء يكون سببا لخروجهم على السلطان بل كان ذلك أشرا وبطرا، وملالا للعافية، وطبعا حافيا، وعقلا غبيا وسعيا في هلاك أنفسهم".

توجه الثوار إلى القصر من كل ناحية وكان ذلك يوم الثالث عشر من رمضان سنة (202هـ/818م)، وكان أشدهم تحفزا وهيجا أهل ريبض شقندة الواقعة جنوب قرطبة، فطلب الحكم من حرسه وغلمانهم من رد هذه الهيجاء³، "فبعث عمه عبيد الله البننسي صاحب الصوائف والحاجب عبد الكريم في قوة الفرسان والمشاة فاستقبلت الجموع الزاحفة وردتها إلى الورا، بعد أن نفذت إلى فناء القصر ثم شقت طريقها إلى النهر واقتحمته إلى الضاحية الثائرة"⁴.

أرسل الحكم جنوده إذ أحرقوا بيوت الثوار، ولم يكن بها إلا عيالهم فارتد الثوار إلى نجدة ذويهم من ألسنة النار. هنا أوقع بهم الحكم مقتله عظيمة وأخذت السيوف من أمامهم وورائهم وقتل منهم خلق كثير ونهبت دورهم وآسر منهم عدد كبير ومنهم من استطاع الفرار⁵، واستمر القتل والحرق والخراب في قرطبة ثلاثة أيام وبعد هذه الواقعة

¹ محمد خالد مصطفى المنوني: الفقهاء وثورة أهل الريبض، ص164.

² ابن عذاري: البيان، ج2، ص77.

³ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام، ص244.

⁴ المرجع نفسه، ص244.

⁵ ابن عذاري: البيان، ج2، ص77.

الأليمة نودي بالأمان وطلبوا من الأمير أن يعفو عنهم ويسامحهم معلنين له الطاعة والولاء¹.

يؤكد ذلك الذهبي² قائلا: "وعاينوا البلاد من قدامهم ومن خلفهم فتداعوا بالطاعة، وأذعنوا ولاذوا بالعفو"، وأمر الحكم بنفي أهل الربض من قرطبة، فخرجوا منها هائمين، فلجأ بعضهم إلى طليطلة وهناك منهم من عبر إلى عدوة المغرب، أما الأغلبية الساحقة منهم لجأ إلى الإسكندرية بعد محاصرتهم في الإسكندرية³، ساروا إلى جزيرة إفريدش "كريت" بقيادة زعيمهم أبي حفص عمر بن عيسى البلوطي وافتتحو الجزيرة ونزلوا بها في (212هـ/827م)⁴.

تعد الثورة الربضية صوت العوام إذ كادت أن تحمل الحكم وعرشه، وكانت ثورة شعبية بمعنى الكلمة، ولكنها كانت دون تنظيم ودون زعامة، وقد أدرك الحكم خطورتها ولم تأخذه في إخمادها رافة وترتب عنها نتائج كبيرة منها هزيمة الثوار وقتل أعداد كبيرة منهم تراوحت بين عشرة آلاف وأربعين ألف، كما أسر البعض ومألت بهم السجون، مثل سجن قرطبة قرب القنطرة، وسجن آخر قرب المسجد الكبير.

2- في العهد الطائفي (ثورة ابن النغيلة) (459هـ/1067م):

حينما سقطت دولة الخلافة الأموية في قرطبة وانتهى أمرها في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، وقامت على إنقاذها دويلات الطوائف، فختصت كل من هؤلاء الطوائف بمدينة وما جوارها، وقد تمكنت أسرة "زيري بن مناد" الصنهاجية من الاستئثار بمدينة غرناطة، وذلك على يد "حبوس" ثم من بعده ابنه باديس.

¹ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام، ص244

² الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج8، ص229.

³ ابن خلدون: العبر، ج4، ص161.

⁴ شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس، مطبعة المنار، مصر، 1925، ص160.

كان اليهود يعيشون في الأندلس في المجتمعات الإسلامية وكانت غرناطة أكثر المدن التي تعج بهم إذ أطلق عليها مدينة اليهود هذه الطائفة تتقلد المناصب الحساسة في الحكم وكذلك سيطرتهم على التجارة، ومن بين هؤلاء اليهود صمويل ابن النغيلة سماه العرب المسلمين "إسماعيل"، استعان به حبوس كوزير له وكاتباً وولي له الشأن الداخلي للإمارة ورفعاه فوق كل منزلة¹.

وبعد وفاة حبوس خلفه من بعده ابنه يدعى باديس فمشى على درب أبيه وأبقى إسماعيل ابن نغيلة وزيرا له²، ويقول ابن عذاري المراكشي في كتابه البيان: "أمضى باديس كاتب أبيه ووزير ابن النغيلة اليهودي، وعمالا متصرفين من أهل ملته، فاكتسبوا الجاه في أيامه واستطالوا على المسلمين"³.

إن المكانة التي احتلها إسماعيل ابن النغيلة وابنه من بعده جعلهم يقربون اليهود وتحكمهم بأموال المسلمين وراثتهم على حساب العامة، ولقد كان إسماعيل يسهر على مصالح اليهود ويتفقد ذوي العوز منهم ويمدهم بما يسد حاجاتهم، كما سيطروا على الإدارات المختلفة في الدولة، وتظهر الرغبة بالسيطرة على تنفيذ برنامجهم القومي إذ كانوا يسعون بناء كيان يهودي في بلاد الأندلس، وأراد يوسف ابن النغيلة استكمال برنامج أبيه بعد وفاته في تجميع اليهود وإقامة دولة لهم⁴.

¹ الطاهر أحمد المكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط3، 1987، ص55.

² ابن خلدون، المقدمة، ص1002.

³ ابن عذاري: البيان، ج3، ص264.

⁴ الطاهر أحمد المكي: دراسات أندلسية، ص58.

لقد كان يوسف اليهودي رجلاً ذكياً نجح في أن يستأثر بعطف باديس وثقته، فرفعه فوق سائر الكتاب والوزراء، وقام بتعيين بني جلدته في مناصب حساسة، واستطاع بمهارته أن يملأ خزائن الدولة هذا ما كان يرضي الحكام عن الوزراء¹.

كان اليهود دون سواهم خلال حكم المسلمين الأندلس يتمتعون بحق المواطن في شتى المجالات ولكنهم كانوا دوماً قوماً ميالين للفتن والمؤتمرات، لذلك كانت الاستعانة بهم في مناصب حساسة خطأ جسيماً يمس الوحدة والإدارة السياسية، وكان استئثار اليهود بالمناصب يثير غضب أهل غرناطة وكان من الغاضبين الأمير بلقين ولد باديس الأكبر وولي العهد من بعده، والذي كان يسعى لقتل يوسف اليهودي وتضامن مع بلقين الكثير من رجال الدولة وشيوخ البربر².

كان يوسف اليهودي من جانبه يضع جواسيس في القصر، فعرف يوسف من جواسيسه بنية بلقين في قتله، واستطاع أن يقتل بلقين بالسم، فصدم باديس، واعلم يوسف اليهودي أن سبب موته بعض جواري القصر، فقتل باديس من الجواري ولده، وصارت لليهود صولة على المسلمين في دولتهم، إذ ابتعد باديس عن القيادة وفوض اليهودي³، واستسلم الجميع لذلك عدا رجل اسمه "الناية" وهو رجل خدم باديس⁴. إذ كان الناية يحرض باديس على اليهودي وكان يكشف له عيوبه حتى بدأ باديس يتغير من جهة وزيره⁵.

¹ ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط2، 1973، ج1، ص439-440.

² ابن بلكين، الأمير عبد الله ابن بلكين الزيري: التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، نشره وحققه: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1955م، ص39.

³ ابن عذاري: البيان: ج3، ص265.

⁴ المصدر نفسه: ج3، ص47.

⁵ أنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، نقله: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ص102.

كما كان الشاعر الزاهد أبو إسحاق الألبيري الأندلسي قد ضاق بهم ذرعا، وقد أحس بوطأتهم على المسلمين آنذاك لاستغلالهم للمناصب والأموال إلى حد الإذلال، فكتب قصيدة يستهزئ فيها الهمم ويحرض قبيلة صنهاجة على البطش بهم فكان له ما أراد، وكانت أبياته النار التي تشتعل الفتيل¹.

ولا ترفع الضغط عن رهطه فقد كنزوا كل علق ثمين
وفرق عراهم وخذ مالهم فأنت حق بما يجمعون
ولا تحسبن قلتهم غدوة بل الغدر في تركهم يعبثون
فقد نكدوا عهدنا عندهم فكيف تلام على الناكثين؟
فكيف تكون لنا همة ونحن خمول وهم ظاهرون؟

لم تدم وزارة يوسف ابن نغريلة طويلا إذ بلغ غضب الشعب الغرناطي مداه وتمكن الفقيه أبو إسحاق الألبيري من تأليب الناس وكانت فتواه وقصيدته كالزيت الذي صب على النار، وهاجت غرناطة وأميرها باديس منغمس في بطانته كما يذكر ابن الخطيب². هنا أحسن يوسف بن نغريلة بالخطر بعدما بدأ باديس بتغيير عليه فراسل المعتصم بن صمادح صاحب المرية بدعوة للاستيلاء على غرناطة، ولكن المعتصم وباديس كانوا أصدقاء منذ أن ساعد باديس المعتصم عندما أراد الملك بن عبد العزيز المظفر ابن أبي عامر استرداد المرية³.

وبدأ الاضطراب في قبيلة صنهاجة وانطلقت انتفاضة شعبية في غرناطة تقودها القوى المخلصة في أبناء المدينة تعبيرا عن الموقف الصادق الممثل لرغبة الجمهور

¹ المرجع نفسه: ص 108.

² ابن الخطيب: الإحاطة، ج 1، ص 440.

³ ابن عذاري: البيان، ج 3، ص 266.

في غرناطة. وبالفعل وقع الانفجار في 459هـ، في يوم الذي اجتمع فيه يوسف اليهودي مع صحبه للمؤامرة¹، وكان مشروعه استدعاء ابن صمادح قد نضج وقد كان هذا الأخير قد استعد بجنده في مكان قريب من المدينة للانقضاض عليها.

وفي نفس الوقت كان هناك جماعة من الثوار أخذوا يراقبون حركات اليهودي فاستشعروا بأن هناك مؤامرة تدور في الخفاء فأدرك الثوار نوايا تلك المؤامرة التي ترأسها يوسف اليهودي فهرب واستجار بباديس فلن يفده شيئا، حيث هجم الناس على قصر باديس وفتشوه حتى عثروا على اليهودي في خزائن الفحم وقد تتكر وصبغ وجهه بالسواد، فأخذوه وقتلوه، ثم صلبوه على باب غرناطة².

وهاج الجند والشعب، وهجموا على بيوت اليهود في كل مكان وأمعنوا فيهم تقتيلا وتعذيبا، ونهبوا دار يوسف اليهودي، وكان ذاخرة بالكنوز التي جمعها من دم الشعب الغرناطي، وبسبب هذه الثورة الشعبية العظيمة تم تصفية واستئصال النفوذ اليهودي في غرناطة.

3- في العهد المرابطي (الثورة ضد ابن العربي) (529هـ/1135م):

لقد كان أهل اشبيلية يثرون الشعب ويتمردون وينتقمون على السلطة في زمن المرابطين ويؤكد ذلك الرسالة التي بعثها علي بن تاشفين الموجهة للشعب الاشبيلي حيث يتوعدهم ويحملهم محبة شعبهم يقول فيها: "واحدروا دواعي الفتن"، وقال أيضا:

¹ ابن بلكين، التبيان، ص54.

² ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص440.

"واخلصوا السمع والطاعة لوالي أموركُم"¹، فما لبثت سنة 529هـ حيث قامت العامة ضد القاضي ابن عربي².

ما هي أسباب هاته الثورة؟ وما المصير الذي آلت إليه؟

لقد كان أبو بكر ابن العربي³، قاضيا باشبيلية حيث عرف هذا الأخير بالشدة في الحق والقوة على الظالمين وجعل المفسدين والمتذمرين من صرامته يستغلون محافظته على تنفيذ الحدود لتشويه سمعته، إذ كان قاسيا في معاقبة المفسدين، وكان يشدد العقوبات على من يتخذون المزمар وسيلة للهو والفساد وبائعي الخمر، فيذكر ابن عذارى⁴، في كتابه البيان رواية فحواها أن جنود ابن العربي التقوا بشخص يحمل الخمر فاحتج بأنه ابتاعها فقال ابن العربي: "لعن الله بائعها ومبتعها وعاصرها وحاملها".

ولم يكل ابن العربي يمل في محاربة المفسدين وسلط عليهم أشد العذاب، فتذمر أهل اشبيلية من تصرفاته، إذ قامت أيادي خفية بتشويه سمعته وطعنوا في عقيدته فكثرت الناقمين على سياسته وكانوا ينتظرون الفرصة السانحة للإطاحة به، وفي الوقت الذي كانت البلاد تعيش أزمة اقتصادية⁵، وعلي بن تاشفين منشغلا بحروبه مع الموحدين قامت عامة اشبيلية ضد القاضي ابن العربي سنة 529هـ⁶، وكان سبب هذه الهيعة

¹ بوضياف سعدي وسارة مرزوقي: الثورات في الأندلس ضد الحكم المرابطي (507-541هـ/1113-1146م)، ماستر، جامعة المسيلة-الجزائر، 2016، 459-2017هـ، ص47.

² إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص208.

³ محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد العربي المعافري، المكنى بأبي بكر، من أهل اشبيلية، ولد سنة ثمان وستين وأربعمائة (468هـ)، نشأ وتعلم باشبيلية وتولى القضاء به أنظر: عبد القادر سلطاني مظاهر التجديد الفقهي عند القاضي أبي بكر ابن عربي، دكتوراه، جامعة وهران - الجزائر، 2017-2018، ص09.

⁴ ابن عذارى: البيان، ج4، ص93.

⁵ المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

⁶ نفسه: ص94.

هو أن الخليفة أمر ببناء سور مدينة اشبيلية نظرا للتهديد المستمر لمدن الإسلام من طرف الصليبيين.

ولما احتاج جزء من السور في جهة منه إلى البنيان، فلم يكن فيها مال متوفر، فرض ابن عربي على الناس جلود أضياعهم، وكان ذلك في عيد الأضحى، فأحضروا كارهين، ثم اجتمعت قرطبة¹ وكانت وفاته قرب فاس التي دفن بها في ربيع الآخر 543هـ/1148م، وواضح أن هناك فرق بينا بين من ينظر إلى قصة السور على أنها دليل على مداهمة ولاية الأمر الذين يتحكمون في خزائن الأمة، وتحت مسؤولياتهم يقع الإنفاق على المصالح العامة، من بناء الأسوار بما لا يطاق، وبين من ينظر إلى استنفار الناس وحشد طاقتهم وتعبئتهم لما فيه المصلحة العامة تصرف رشيد².

4- في العهد الموحي (حركة الجزيرة) (568هـ/1172م):

تزعم محمد بن عبد الله المعروف بالجزيري ثورة قوية ضد الدولة الموحدية³، وقد قام بمغامرة شجاعة تحدى فيها السلطة في أوج قوتها⁴، إذ قامت العديد من الثورات والانشقاقات في العصر الموحي وانتفضت العديد من القبائل معبرة عن رفضها للحكم الموحي لكن الموحدين فضلوا خيار المواجهة الحاسمة لاستئصال كل محاولة للخروج عن سلطتهم أو تهديدها، وتمكنوا بذلك من المحافظة على وحدة البلاد وإفشال حركات التمرد التي كان بعضها قويا⁵.

¹ المقري، أبو العباس أحمد بن محمد القرشي: فح الطيب في حصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان بن الخطيب. تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968، ج2، ص28.

² عبد القادر سلطاني: مظاهر التجديد الفقهي، ص158.

³ الصفدي، أبو الصفا خليل بن أبيك: الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار الإحياء، بيروت-لبنان، ط1، 2000م، ج3، ص279.

⁴ محمد المغراوي: الموحدون وأزمات المجتمع، جذور للنشر، الرباط، المغرب، 2006م، ص43.

⁵ المرجع نفسه، ص06.

إذا فما هي المؤتمرات والأسباب التي جعلت هذا التأثير أن يختار العصيان في ظروف لا بد أنها لم تترك كبير أمل في نجاح مغامرته؟ هل تعود إلى ثقل الجبايات المفروضة من قبل الموحدين؟ أم تعود إلى حيوية وأفكار والمعتقدات المحلية؟

استطاع الجزيري أن يستقطب فئة من العامة ويستغل وضعيتهم الاجتماعية المتأزمة ولقد أشار في ذلك ابن عذارى¹: "امتزج بمجموعة من أوباش الناس"، ولقد وصفه أيضاً²: "بالغوي التقني اللعين". أما في رواية الصفدي³، فقد وصفه أكثر هدوءاً في صورة عالم ذو نزعة إصلاحية وجعله كأحد الناقمين على دولة الموحدين بقوله: "برع في العلم طاف وسمت همته".

لقد بدأ هذا التأثير حركته بمراكش⁴، فذاع صيته واتبعته جموع غفيرة من العوام. أراد من خلال هذه الحركة الاقتداء بالمهدي بن تومرت وكان يسعى للدفاع عن أفكاره⁵، وخاصة أن هذه الفترة انحرفت فيها الدولة عن تعاليم المهدي بن تومرت وظهر مظاهر الترف وشاعت الخمر وظهر مظاهر الأخلاقية.

ويبدو أن القضايا الأخلاقية نفسها كانت سببا متكررا لهبات شعبية لأنه ليس من السهل تغيير تقاليد راسخة وامتيازات معتادة لأن المجتمع يحاول الحفاظ على نظام

¹ ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص207

² المصدر نفسه: ص208.

³ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج3، ص280.

⁴ مراكش: أعظم مدينة بالمغرب وأجملها وبها سرير ملك بن عبد المؤمن أول من اختطأها يوسف بن تاشفين في حدود سنة 480 بينها وبين جبل درن الذي ظهر منه ابن تومرت ثلاثة فراسخ، وهو في جنوبها، وكان موضع مراكش قبل ذلك مخالفة يقطع فيه اللصوص على القوافل، ومراكش كلمة بربرية تعني أسرع المشي. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت - لبنان، ج5، ص94.

⁵ مليكة عدالة: عامة الأندلس، ص71.

اجتماعي استقرت معاييرها. وهذا ما شجع تجمع الناس من حوله خاصة المتعاطفين للمهدي "اشتهر الجزيري وعظم أمره في نفوس العامة"¹.

ويبدو أن هذه الحركة نجحت في تخويف وإثارة غضب السلطة لأن حركته أصبحت تشكل خطرا حقيقيا، فأمر المنصور بإلقاء القبض عليه فراح يتحول في الأقطار حتى ظهر بفاس فامتزج بمجموعة من العوام وعند اكتشاف أمره لاذ بالفرار مرة أخرى²، ومنها جاز إلى الأندلس وقد تتبع الموحدين أثره وقضوا على أتباعه بالقتل والسجن وكان الجزيري في جملة المسجونين لكنه عاود الفرار³.

اختار الجزيري "أسلوب التشويش المتحرك من داخل المدن الكبرى واتباع طريقة في الدعاية لنفسه تنطوي على قدر كبير من الحيلة ويظهر عليها النفس التمرتي في استعمال الدعاية الباطنية"⁴، ولقد نسجت حول شخصية الجزيري أساطير عديدة فأشاع بين الناس أنه ساحر، وأنه يتقمص صور الحيوانات مثل الحمير والكلاب، فأصبحوا يرمون تلك الحيوانات بل يقتلونهم أما للتخلص منه⁵.

تم القضاء على هذه الحركة بقتل صاحبها إذ تم القبض عليه بمرسية حسب رواية ابن عذاري⁶، بينما يذكر المقري⁷، أنه قبض عليه في حصن قولية من عمل قرى بسطة¹.

¹ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج3، ص280.

² ابن عذاري: البيان، قسم الموحدين، ص207.

³ محمد فتحة: النوازل الفقهية والمجتمع، سلسلة الأطروحات والرسائل، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء - المغرب، 1999م، ص146.

⁴ محمد المغراوي: الموحدون وأزمات المجتمع، ص44.

⁵ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج3، ص280.

⁶ ابن عذاري: البيان، قسم الموحدين، ص207.

⁷ المقري: نفح الطيب، ج4، ص65.

كانت ثورة الجزيري "حركة اجتماعية اتسمت بالضعف وودتها الطبقة الدنيا من العامة فرصة سانحة للانخراط فيها والتعبير عن وضعها المادي المتأزم في ظل انشغال السلطة الموحدية بصراعاتها الداخلية ولا يمكن إنكار أنه استطاع استقطاب جمهور عريض من العامة"².

كما أنه استطاع رفع شعار من داخل المشروع الموحد يقول فيه³:

وفي أمر رأسي سر يبدو لكم بعد حين

لأبلغن مرادي إن كان سعدي معيني

أو فأكتب ممن سعى لإظهار ديني

ونلاحظ اختلافا بين رواية المقرئ ورواية ابن عذارى المراكشي حول السنة التي ظهر فيها هذه الحركة الاحتجاجية؛ فلقد ذكر "المقرئ"⁴ بأن هذه الحركة كانت في عهد الناصر بن عبد المؤمن (595-610هـ/1198-1213م)، إذ يقول: "إن بني عبد المؤمن لما غيروا رسم مهديتهم وصيروا الخلافة ملكا توسعوا في الرفاهية وأهملوا حق الراعية جعل ينتشر وشاع سره في مدة الناصر بن عبد المؤمن فطلبه ففر ولم يزل ينقل متخفيا مع أصحابه إلى أن قبض عليه حصن قولية وقتل هناك"، أما في رواية "ابن عذارى"⁵ فحركة الجزيري ظهرت سنة 568هـ/1172م، وبذلك فإنها في عهد يعقوب المنصور (558-580هـ/1161-1190م).

¹ بسطة: مدينة بالأندلس بالقرب من واد آش، وهي من أعمال حبان، وهي متوسطة المقدار، حسنة الموضع ذات أسواق عامرة وبها تجارات وصناعات متنوعة. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص422.

² مليكة عدالة: عامة الأندلس، ص72.

³ المرجع نفسه: ص65.

⁴ المقرئ: نفح الطيب، ج4، ص65.

⁵ ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص207-208.

ويبدو أن رواية ابن عذارى هي الأقرب على الصواب لأنه لا يعقل أن تستمر حتى عهد الناصر ابن المنصور الموحي.

الفصل الثالث:

تداعيات الحراك الشعبي

أولاً: تداعيات قريبة المدى

ثانياً: تداعيات بعيدة المدى

يشكل الحراك الشعبي أداة من أدوات إحداث التغيير في المجتمع، فالحراك يدعو للتغيير الجذري، وإن بدأ كحركة سلمية عفوية فإنه سرعان ما يتحول لحركة التغيير الشامل، إلا أن بعض الحركات تواجه إخفاقات أو ثورات مضادة، فكثيرا من الحركات لا تحقق أهدافها على المدى القريب، ولكنه في المدى البعيد تحدث تغييرا جذريا في حركة المجتمع.

إن الفئات الشعبية هي الطاقة المحركة للتاريخ وتطور المجتمع التي تتكون من عوام وفلاحين وحرفيين وفقراء... الخ، فلا يمكن إقصاء مشاركتهم الفعالة في الحروب والصراعات والثورات والاحتجاجات إلا أنها لم تتل حظها في المصنفات التاريخية أي أننا لا نعثر إلا بصعوبة على بعض شذرات المتناثرة في بطون الكتب ولقد كانت هذه الفئات الشعبية دوما مضطهدة فرأوا المؤرخين الناطقين الرسميين باسم الدولة أن حركات المعارضة والثورات والانتفاضات التي تبنتها العوام هي تمردا سياسيا، فذهبوا إلى حد إدانتها بل أحجموا عن التفصيل فيها واحتقارها وهذا ما يفسر تهميش لثورات العوام وأثرها على المجتمعات.

وانطلاقا من هذا الأخير ما هي أهم النتائج أو الآثار التي تتجر عن الحراك الشعبي؟ وهل يستطيع الحراك الشعبي تحقيق مطالب الشعوب؟.

عندما نتحدث عن أثر الانتفاضات وفعالها في الشعوب فإننا لا نتحدث عن الثورات بمعناها الظاهري الذي عادة ما يحمل صورة دموية عنيفة فيها من خراب ودمار، بل نتحدث عن الثورات كفعل مؤثر في البنية الاجتماعية للشعوب والتأثير على نضجها ووعيها وإذا نظرنا للثورات من ناحية تحليلية نجد أنها عادة ما تنفجر في

بيئة اجتماعية ظلت خاملة عقوداً طويلة وهذا الخمول أو الجمود ناجم عن تكديس فئات بعينها تتحكم في مقدرات الشعوب وثوراتها وتقييم الظلم والفساد سواء كان فساداً سياسياً أو اجتماعياً أو ثقافياً أو تحدث في مجتمعات كثيرة الثورات وبالتالي فالمجتمعات لا تخلو من أناس يقظين مهما بلغت من الخمول فيثبتون روح التغيير في تلك المجتمعات لتثور على ذلك الوضع المتأزم الذي خربت بسببه البيئة الاجتماعية والثقافية والسياسية للشعوب، وتبدأ عجلة التغيير في الحركة.

المجتمعات التي لا يطرأ عليها تغيير تموت وتتلاشى كما لا تستقر الأرض بالبراكين والزلازل، فرغم ما تحدثه البراكين والزلازل من عنف وخراب إلا أن لها دور مهما في استقرار الأرض، والثورات إن لم تحدث في الشعوب، فإنها تفقد البوصلة وتتيه عن الوجهة ويعم فيها الفساد والظلم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾¹.

وقبل قيام الثورة تكون البنية الاجتماعية والسياسية وحتى الثقافية أشبه بكوخ مهجور مظلم لا يحمل معالم الحياة ولا تنبعث من روح توحى بالحركة وعندما تنفجر الثورة فإنها تعيد الحياة للبنية الاجتماعية والسياسية والثقافية للأمم تماماً كما تنبعث الورود من خضم الطين المختمر بعد هطول المطر.

إن مطالب الشعوب تعلن أحياناً عن يقظة القوميات وهيجانها وكانت تتصل بمشاغل كبار القوم وجميع المترشحين للاستغلال قد كان هذا اللقاء هينا، لاسيما أن

¹ سورة البقرة ، الآية 251.

الناس كانوا يؤملون من الثورة حياة أرغد ويمكن أن تقول إن أملهم لم يخب دائما إذ غالبا ما يحقق نتائج¹.

لقد تعاظمت الحركات والانتفاضات إبان عصور قلاقل والفوضى السياسية، وتفاقم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية تكون هذه الحركات كرد فعل طبيعي ومنطقي لسياسات فاشلة².

وبالرغم من النقائص التي شانت انتفاضات العوام والمهمشون إلا أنها نجحت في تعرية النظم الحاكمة ومن دار في فلكها من فقهاء السلطة والشرائح البرجوازية التجارية، وأرغمت الحكومات أحيانا على التخفيف من غلواء سياستها المشتتة، بل القيام ببعض الإصلاحات في أحيان أخرى³، فالحركات إن لم تؤتي ثمارها إلا بعد وقت قد يطول أو يقصر إلا أن لها عظيم في تقويم مسيرة الشعوب وتصحيح مفاهيمها الإنسانية التي ذبلت في ظل بيئة سيطر عليها الاستبداد والقمع زمنا طويلا وكما يقال: "يولد الفرج من رحم المصيبة، وكل موت بداية لحياة جديدة".

¹ محمد الطالب: الدولة الأغلبية، ص 58.

² محمود إسماعيل: المهمشون في التاريخ الإسلامي، ص 205.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أولاً- تداعيات قريبة المدى:

هنا نرى من الضروري أن نذكر قبل الحديث عن النتائج، فلا بد من توعية الشعب وإقناعهم بأن الظلم منكر ومرفوض في كل الأديان من إقناعهم بضرورة المشاركة الشخصية في تغيير النظم الظالمة بكل وسائل مشروعة وممكنة¹، فلا بد من تفاعل اجتماعي منظم في صورة معنوية والمادية يخضع لقواعد ويسير نحو أهداف تحقق مطالب الجماعة.

وتعد الاضطرابات العامة من أفضل أشكال الاحتجاج وأكثرها تأثيراً بالرغم من أنها قد تتطوي على خسائر، كما يعد الاعتصام خطوة في مسار الثورة حيث تسعى الطبقة العاملة إلى شل عملية الإنتاج وإيقاف أرباح من يدورون في فلك السلطة الحاكمة، مما يجبر الأخيرة على تقديم تنازلات أو الرضوخ والاستجابة لبعض المطالب الهامة مثل:

اعتصام أهل القيروان "ثورة الدراهم"، حيث اضطر إبراهيم الثاني الاستجابة للمطالب أهل المنطقة من تجار دون أن يقع اللجوء على العنف، فرضي بتقديم تنازلات، وأطلق سراح المحبوسين وعم الهدوء في المنطقة².

ولنجاح الحراك الشعبي يجب أن تتكامل مجموعة من المعايير والشروط ومن بينها كسر هاجز الخوف فلا بد من الشعوب أن تتحرك ضد أنظمتها بسبب الاستبداد الذي تمارسه وتتوسع دائرة الحرية فيشعر الحراكيون بالأمان والسيطرة على الوضع.

كما أننا لا ننسى الإجماع على النظام أي المطالبة بتغيير النظام أو تعديله، فلا بد من تحقيق النتائج المرغوبة والمنشودة لأي حراك ولا بد بأن يعي بأن القيام

¹ هشام محمود الأقداحي: الحراك السياسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية- مصر، 2018، ص285.

² محمد الطالبي: تاريخ الدولة الأغلبية، ص316.

بالنشاطات لوحدها لن يحقق النتائج المرغوبة بمعنى أن يكون للنشاطات أهداف، وأن تكون هذه الأهداف جزء من إستراتيجية كاملة، بمعنى أن النشاطات ليست جزء من مخطط المدروس وليس لها هدف تكون في النهاية غير مثمرة ولن تحقق الأهداف الكلية المرغوبة¹.

هنا نعطي مثال لانتفاضة خريش، فحين ظهرت هذه الحركة إلى النور محقت بسرعة كبيرة حتى أنها لم تقدر على إثبات مبادئها بوضوح، والكشف عن صلاتها والغموض الذي كان يحيط بها والشيء الذي استطعنا فهمه من هذه الانتفاضة هو عدم الرضا على النظام الجديد²، ولابد أن تكون النشاطات والأهداف محدودة وواضحة وعملية ممكنة³.

وبالرغم من تعدد الثورات إلا أنها افترقت إلى التنظيم والإعداد وعلى حد تعبير محمود إسماعيل أنها كانت أشبه ما تكون بهبات تلقائية عفوية لذلك كانت انجازاتها محدودة⁴.

ونجد أن الدولة لا تتدخل إلا تحت ضغط الشعب⁵، وغالبا ما تقوم السلطة الحاكمة ببعض الإصلاحات لإخماد الثورات ففي عهد إبراهيم ابن الأغلب قام بإصلاحات أهمها تحسين الجيش والرعية واهتم بإزالة النظام وزاد في أرزاق العمال لكي يكف أيديهم عن الرعية وقام بتحريم النبيذ والخمر وعاقب عن بيعه وشربه⁶.

¹ هشام محمود الأقداحي: الحراك السياسي، ص285.

² محمد الطالب: تاريخ الدولة الأغلبية، ص164.

³ هشام محمود الأقداحي: المرجع السابق: الصفحة نفسها.

⁴ محمود إسماعيل: المهمشون في التاريخ الإسلامي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، ط1، 2004م، ص28.

⁵ عطا علي محمد شحاتة رية: اليهود في بلاد المغرب الأقصى.

⁶ محمد محمد زيتون: القيروان ودورها الحضاري، ص125.

وبالرغم من كثرة وشدة الثورات في عهده إلا أنها لم تتمكن من تحقيق أهدافها وإسقاط حكم الأغالبة، والحق أن إبراهيم بن الأغلب لم يدخل وسعا في مواجهة الأخطار، قد قام بتجنيد السودان وبني القلاع والحصون، واتبع من الوسائل ما كفل له الاستمرار في الحكم بالرغم من الأزمات، كما طلب العون من الخلافة، فضلا على استمالة البربر واستخدامهم في مواجهة الثورات والحروب فأصبحوا جنود مخلصين للإمارة¹.

أما في العصر الموحي فأبرز محاولة إصلاح الوضع الاجتماعي هي تلك الإصلاحات التي قام بها يعقوب المنصور هذا ما جعل عهده متميزا عن غيره، ويعد عهده العصر الذهبي للدولة الموحدية والذروة التي وصل إليها التطور السياسي في المغرب والأندلس نحو توحيد وإقامة الدولة الكبرى الموحدية بالرغم من الأخطار الداخلية والخارجية.

لقد "عمل على محو الباطل من دعوة ابن تومرت وسعى لتقويضه، بعد نصف قرن من انتشار تعاليم ابن تومرت وهي دعوة قصيرة في عمر الدعوات، لأن ما تحمله دعوة ابن تومرت من جنوح في أفكارها جعلت أقرب الناس منها يسعون لتقويضها"²، إذ لم يعلن بطلان ما دعا إليه ابن تومرت، لأن الكثير من الناس ولاسيما العامة قد تعلقوا بدعوة ابن تومرت، واقتنعوا بها دعا إليه³.

فلقد كانت الدولة الموحدية في عصر يعقوب المنصور تضاهي نظيرها العباسية في المشرق فبرغم من كثرة الفتن والثورات والحروب في عهده إلا أنه قام بإصلاحات جعلت عهده مميّزا، فالمصادر أثبتت عليه بإنجازات ومآثره المتعددة وكانت له شعبية

¹ محمود إسماعيل: الأغالبة، ص31.

² محمد علي الصلابي: دولة الموحدين، ص166.

³ المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

كبيرة وترجع سياسة يعقوب المنصور أملت لها ظروف الدولة الموحدية في أوائل حكمه إذا طلع المنصور بحكم تجربته كولي للعهد وتجربته كوزير لأبيه إذ قام بعدة إصلاحات أهمها: إراقة الخمر في مختلف أنحاء الإمبراطورية ومطاردة متعاطي الخمر حارب المستهترين ومجالس الغناء ومنع ارتداء الملابس الحريرية الغالية أقام العدل وبسطه لرفع الحيف والعصبية الحاكمة عن الرعية¹. كما بني الحصون والمساجد والمدارس².

ولقد كانت أبواب الشكاوي مفتوحة للعامة من طرف الحاكم يعقوب المنصور الذي كان يجلس بنفسه لخطه المظالم لسماع شكاوي المتظلمين ويسمع لمطلبهم³.

والواضح أن إصرار هؤلاء الحكام عند توليهم سدة في الحكم لسماع الشكاوي العامة لأنهم بوصولهم إلى السلطة، وهي فترة انتقالية من حاكم لآخر، تنتشر فيها الفوضى وتكثر الثورات والانتفاضات فلا بد من فتح أبواب أمام العامة لامتناس غضبهم.

لقد كان يعقوب المنصور يتعامل بصرامة في مراقبة العمال وتحذيرهم من تحميل الرعية مالا طاقة لها ولا شك أن هذه الإجراءات أراد من خلالها يعقوب المنصور محاصرة مظاهر التقلت والفوضى التي كان يعيش فيها المجتمع، وأظهر عزمه في محاربة الفساد والمفسدين وإقامة العدل⁴، وتقرب الحاكم يعقوب المنصور من عامة الناس فكان يقصد للناس عامة ولا يحجب عنه أحد من صغير ولا كبير⁵، كما استعمل أسلوب الترغيب لإرضاء العامة والتقرب منها كما لجئوا أحيانا إلى أسلوب التهيب وإراقة الدماء أحيانا في تعاملهم معهم لاستمالتهم خاصة إذ تعلق الأمر بارتكاب

¹ الحسين أسكان: الدولة والمجتمع، ص 325.

² ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص 217.

³ ابن عذاري: البيان، ج 5، ص 174.

⁴ مليكة عدالة: عامة الأندلس، ص 59.

⁵ عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 208.

المحرمات فلطالما ظهر الحكام بمظهر الحكام المعتدلين وهذا ما أكسبهم حب وثقة الرعية¹.

كان المنصور شغوف بالعلم وعمل على استجلاب العلماء فكان من غشي بلاطه الفقيه أبو عبد الله بن الفخار المالقي (ت596هـ/1194م)، فلقد حظي لديه فكان يجله كثيرا ويقربه ويرفع من شأنه، والفقيه أبو عمر الشاطبي (609هـ/1212م)، ولقد أنعم عليهم بالتحف من المخزن من أعشار وغيرها من العطايا الجزيلة والكسوات في كل عام².

لجأ بعض الحكام إلى تقديم الأموال والهدايا وتفريق الصدقات في العديد من المناسبات للقرب من العامة وامتصاص غضبهم فكثيرة هي القرائن التي تبين بأن الحكام شاركوا العامة في العديد من المحن وأبدوا تعاطفهم معهم ولقد أبدى بعض الخلفاء تضامنا حقيقيا مع الفقراء والمساكين³، خاصة أوقات الشدة من خلال الإحسان وإمداد الأسواق بالمؤون، الضرورية نتيجة ضغط الشعب على السلطة، كما اهتموا بالتخفيف من معاناتهم.

ونستنتج من سياسة الحكام أنهم أبدوا اهتماما بالعامة وعملوا على مراقبة أحوالها بمعاينة كل من يتعرض لها، وغالبا ما وظفت السلطة جهودها من أجل استمالة العامة وأبدت اهتماما واضحا اتجاه الرعية وأقدمت على محاربة المنكرات وظاهرة التصلص بتأمين الطرقات ومراقبة العمال والحد من تسلطهم على الرعية لنشر الأمن في المجتمع⁴.

¹ مليكة عدالة: المرجع السابق، ص58.

² لخضر بولطيف: فقهاء المالكية، ص260-261.

³ المقرئ: نفح الطيب، ج1، ص2019.

⁴ ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الأتصاري: روضة النسر في دولة بني مرين، تحقيق: غ. بوعلي وج. مارسية، لاروز الكتبي، باريس، 1917، ص31.

ويبدو من وراء كل هذه الإصلاحات أنهم كانوا يبتغون من ورائها أغراض سياسية، كما استجاب هؤلاء السلاطين نتيجة ضغط الشعب بإزاحة الولاة والعمال والجبابة الجائرين وإبدالهم بآخرين من ذوي الكفاءات والميول الإصلاحية¹. كما لا يخلو شك أن تخفيف المغارم والدلالات القوية حرص الحكام على استمالة قلوب العامة ويعد أهمهم إصلاح²، فنجد أن الشعب غالبا ما يقوم أو يثور نتيجة إرهاب العامة بالضرائب خاصة في عهد المرابطين.

يشير الحميري³ أنه لما آل الأمر للموحدين "قطعوا القبالات وأراحوا الناس منها واستحلوا قتل المتقليين".

ومن خلال تحليل بعض النصوص تتحلى حقيقة الوضع المأساوي الذي يؤول إليه وضع أي قبيلة أو جماعة أو فرد أعلن العصيان والخروج عن الطاعة، والذي تمتزج فيه تقنيات الاتصال والتقتيل الجماعي، بتقنيات الذبح والصلب والتسميم، وحز الرؤوس فضلا عن أساليب المطاردة والقمع والتتكيل، كلها تشكل أهم طقوس السلطات الحاكمة لغرض السلطة والهيمنة خاصة الدولة الموحدية⁴ فكثير هي الحركات التي تنتهي بقطع رأس أهم صاحبها مثل حركة الأشل وحركة الجزيري، ولما كانت مصير كل الحركات، والثورات أن تحز رؤوسهم وتبعث إلى المدن وتعلق على أبواب المدينة يمثل نوعا من العنف التشهيري كان الغرض منه العبرة لمن يعتبر⁵.

¹ محمود إسماعيل: المهمشون، ص152.

² إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في تاريخ الاجتماعي، ص207.

³ الحميري: الروض المعطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة بيروت، 1984، ص541.

⁴ محمد المغراوي: الموحدون وأزمات المجتمع، ص75.

⁵ تيتاو حميد: الدولة والعنف في تاريخ المغرب الوسيط، مجلة الآمال، مج15، ع-33، دار المنظومة، ص85.

والى جانب التقتيل والتعذيب لا يمكن أن ننسى مطاردة الثوار، هذا ما حدث في حادثة هيج الريض حيث هاجر من العامة ما يقدر بالآلاف واستوطنوا في فاس ومنهم من اتجه إلى الإسكندرية¹.

إن تدهور الحياة السياسية نتيجة الثورات سيؤثر حتما على الحياة الاقتصادية للدول.

فكيف تزدهر الزراعة والصناعة والتجارة في ظل جوهر الثورات والانتفاضات والفوضى والقلاقل؟ هنا تتدهور الزراعة والصناعة والتجارة ويحدث كساد للحياة الاقتصادية².

وبتدهور الزراعة يقل الدخل لدى المزارعين، فغالبا ما كان الثوار يقومون بالهجوم على المدن والقرى فيحطمون وينسفون الزرع³، ويخربون العمران⁴.

ولم يقتصر التخريب ونسف الزرع على الثوار بل غالبا ما كانت السلطة تقوم بذلك أيضا من حرق ونسف هذا ما يترتب عليه سوء الحالة الاقتصادية فكان من قطع الموارد الاقتصادية على الثوار من أجل التضيق عليهم⁵.

فيرافق هذه الفوضى والتوتر انهيار اقتصادي، فتقل موارد الدولة فتصبح الخزينة خاوية، فترتفع الأسعار وقد تصل نتائج الحركات تأثيرها حتى على البهائم والدواب والنخيل والبغال والحمير والإبل والغنم

¹ أحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، مصر، 1983، ص40.

² محمود أحمد إسماعيل: ثورات العرب والبربر واليهود، ص320.

³ السيلوي: الاستقصا، ج4، ص33-34.

⁴ عز الدين موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ص114.

⁵ عز الدين موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ص321.

كما كانت تنعكس الثورات أيضا على الصناعات إذ غالبا ما تتشغل السلطة الحاكمة لمقاومة الثوار وتترك الصناعات تغرق في بحر من الغش والزيف¹.

وبتدهور الزراعة والصناعة تنعكس سلبا على التجارة وغالبا ما يقوم بقطع الطرق والقوافل التجارية أو السيطرة عليها، كما سيطر بنو غانية المريوقين على محور عمودي يمتد من مبروقية "بجاية-قسنطينة-الزاب-بسكرة"، أي تكوين محور يربط بين المجال الصحراوي والمجال المتوسطي².

هنا شددت السلطة الحاكمة على القبائل الثائرة فغالبا ما كانت تزيد في فرض الرسوم المفروضة على الجمارك، فتضطرب أحوال البلاد وتتدهور الأحوال الاقتصادية³.

هنا يقدم لنا صاحب الحل الموشية⁴، وصفها دقيقا لأوضاع أهالي مراكش أثناء الحصار فيقول: " اشتد الجهد بهم، ولكثرة خيلهم نفذ طعامهم، وفنيت مخازنهم"، ولعل ذلك يعود إلى انقباض الناس عن الإنتاج بسبب ما يقع من العدوان في الأموال والجبايات وكثرة الفتن والاضطرابات⁵.

ونجد معاناة العوام من ثقل الضرائب ودفع المغارم وهذا ما نجده عند الخليفة الموحي الرشيد الذي أنقل كاهل العامة بها⁶.

¹ محمد أحمد إسماعيل: ثورات العرب والبربر واليهود، ص323.

² مريم جبوده: التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس، ص43.

³ المرجع نفسه، ص325.

⁴ مؤلف مجهول: الحل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء-المغرب، ط1979، ص77.

⁵ إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص200.

⁶ الحسين بولطيط: جوائح وأوبئة، ص99.

نستنتج -إذن- أن للثوار تأثير سيء على المستوى المعيشي للسكان إلى درجة أن انتهاء أزمة سياسية كان يعني في عرف بعض المؤرخين عدوة الازدهار والرخاء.

ولعل كان يزيد الوضع سوءا هو التجاء الناس إلى اختزان الزرع وكل أنواع المواد الغذائية عند نشوب حرب داخلية أو خارجية تحسبا لكثير ما يمكن أن ينجم عن طول أمدها من ضيق العيش أو نقصان في مواد التموين، والطريقة نفسها ينتهجها كبار التجار الذين يستغلون الظروف للتلاعب بثمن البضائع، وهو ما سماه ابن خلدون بالاحتكار¹، حتى أكلوا دوابهم، ومات منهم بالجوع ما يزيد على مائة وعشرين ألفا، ولما طال عليهم الحصار اشتدت أحوالهم هلكوا جوعا حتى أكلوا الجيف، وأكل أهل السجن بعضهم بعضا، وهدمت الحيوانات كلها، والحنطة بأسرها، واختبرت المخازن فلم يوجد بها شيء، وعجزت عساكر اللاتونيين حينئذ عن الدفاع والامتناع بضعف العدد والعدة، وكثرة الضيقة والشدة، ففتحت مراكش حينئذ.

وكان للحروب أثر كبير في الأسعار²، وذلك من خلال الحصار الموحد هناك مجاعة شديدة تحتاج المغرب والأندلس ونجد هذه المجاعات مقترفة بأواخر العصر المرابطي في هذا الصدد ابن غازي "أنه خلال حصار الموحيدين لمكناسة نقل والي المرابطين بدر الدين ولجوط إلى حصن تاكرارت"³.

¹ ابن خلدون: المقدمة، ص201.

² جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص456.

³ ابن غازي: الروض الهتون، ص06.

ثانيا - تداعيات بعيدة المدى:

يقول ابن خلدون: "إن أحوال العالم والأمم والعوام والعوائد وغلبهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر إنما هو اختلاف على الأيتام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال، كما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار فكذلك يقع في الأفاق والأقطار والأزمنة والدول"¹.

إن الدولة هي أساس الحضارة في فكر ابن خلدون قد بني نظريته على أنها لها أعمار مثل أعمار البشر، حددها القرآن الكريم حيث ينتهي كيانه بنهايتها، ثم خلفها دولا أخرى، نظاما وأشد قوة وأوفر صلاحا².

وميز ابن خلدون بين أربعة أجيال للدولة:

-الأول: وفيه تتميز بقوة العصبية والبسالة، والعنف والاشتراك في المجد، ويكون جانبهم مرهوب، والناس لهم غالبون³.

-الثاني: وفيه تنتقل من البداوة إلى الحضارة، ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به⁴.

-الثالث: وفيه يبلغ الترف غايته، ويميز فيه المواطنون عيالا على الدولة، وينسبون الحماية والمدافعة والمطالبة، وتساقط العصبية تماما⁵، أما الجيل الرابع فلا قيمة له لأن فيه تفقد الدولة الاحترام والسلطة وفي هذه المراحل كان للثورة موقعها¹.

¹ عبد الله شريط: نظرية التطور عند ابن خلدون ، "ندوة ابن خلدون والفكر العربي المعاصر"، جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1980، ص 95.

² ابن خلدون: المقدمة، ص 89.

³ المصدر نفسه: ص 91.

⁴ ابن خلدون: المقدمة: ص 91

⁵ نفسه: الصفحة نفسها .

ويؤكد ابن خلدون² أن الظلم يؤثر في بنية المجتمع وتماسكه ويقضي إلى تدمير نسيجه لأن "الظلم مؤذن بخراب العمران المقضي لفساد النوع".

فالظلم في الدولة كالمرض في الإنسان يعجل في موته بعد أن يقضي المدة المقدرة له وهو مريض، وبانتهاء هذه المدة يحين أجل موته، فكذلك الظلم في الأمة والدولة يعجل في هلاكها بما يحدثه فيها من آثار مدمرة يؤدي إلى هلاكها واضمحلالها خلال مدة معينة يعلمها الله هي الأجل المقدر بها"³.

قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ، فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾⁴.

فإن سنة الله مطردة في هلاك الأمم الظالمة، قال الله تعالى: ﴿وَذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ* وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ غَيْرَ تَنْبِيهِ* وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾⁵.

وقال أيضا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾⁶.

ويؤكد ابن خلدون أيضا أن على الحاكم التزاما تجاه الرعية يجب الوفاء بها أما عكس ذلك فإن الخلل قد يتسرب إلى الدولة فتتشل سياسته ويبدأ التمرد عليه على شكل

¹ المصدر نفسه: ص 92.

² نفسه، ص 144.

³ محمد علي الصلابي: دولة الموحدين، ص 221.

⁴ سورة الأعراف، الآية 34.

⁵ سورة هود، الآية: 100-102.

⁶ سورة هود، الآية: 117.

حركات مناهضة للسلطة ومن هنا يبدأ التغيير الذي قد يتسم بالعنف والثورية فتتجز عنه نتائج وخيمة¹.

فلقد تساهم الثورات بشكل كبير في استنزاف أموال الدولة التي حاولت تحقيق توازناتها المالية من خلال الشطط في الأخذ بالجبايات، والتراجع عن بعض الامتيازات التي اعتادت تقديمها مما يعجل سقوط الدولة²، هذا ما أكده ابن خلدون إذ يقول: في خاصة وكثرة عطائه ولا تقي بذلك الجباية فتحتاج الدولة إلى زيادة في الجباية لما تحتاج إليه الحامية من العطاء والسلطان من النفقة، يزيد من مقدار الوظائف والوزائع...³.

وكما كان للثورات أثرها في إضعاف قوة الجيش⁴، فطبيعة المغرب قاسية والتضاريس وعرة كانت سببا في صعوبة التحكم في الدول أمنيا، فيضعف الجيش، وغالبا ما يتحول اهتمام الجيش بالغنائم وليس القتال والدفاع ومطاردة الثوار⁵.

هنا تضعف السلطة والجيش معا وتنتشر الفوضى، مما يجعل البلاد مطمعا الدول الخارجية، ففي الدولة المرينية وجدت البرتغال هذا الضعف فرصة للاستيلاء على طنجة في 869هـ/1465م، ولم تجد من يدافع عنها من السلاطين الذين انشغلوا في محاربة الثوار⁶.

¹ حميد تيتاو: الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، دار البيضاء، بيروت، لبنان، 2010، ص198.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ ابن خلدون: المقدمة، ص250.

⁴ محمد أحمد إسماعيل: ثورات العرب والبربر، ص315.

⁵ صديقي عبد الجبار، سقوط الدولة الموحدية، دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات، ماجستير، جامعة تلمسان-الجزائر، 2013-2014، ص105.

⁶ محمد أحمد إسماعيل: ثورات العرب والبربر واليهود، ص316.

كما حفل تاريخ الدولة الموحدية بالفتن والتمردات والثورات فلم يخلو قطرا ولا عصرا في هذه الدولة من الفتن التي اعتبرت عامل الأساسي في سقوط الدولة¹، ولقد ساهمت في تزايد نزيف المال²، ونتيجة ضعف السلطة المركزية وتناحر عناصرها اغتتمت المراكز البعيدة الفرصة وانفصلت فخرجت الأندلس عن طاعة الموحيدين بالمغرب الأقصى حتى سقطت عاصمتهم في يد بني مرين³.

كان للثورات دورها في القضاء على الدولة المرينية التي انتهت وانهارت على يد الثوار، ضد السلطان عبد الحق المريني ووزراء اليهود وإنهاء الوجود المريني ومبايعة الشريف الجوطي الذي لم يستمر في السلطة طويلا حيث عجز عن إدارة دقة الأمور لأنه لم يكن سياسيا أو ممارسا للسلطة من قبل ولم يستطع سد فراغ السياسي ولكن لم يستطع أن يواجه الانهيار التام للحياة السياسية والاجتماعية، مما أدى إلى نجاح الوطاسيين في الاستيلاء على الحكم عام 875هـ/1471م.

هنا انتهت آخر صفحة من تاريخ بني مرين ولم تجد دولة بني وطاس مقاومة تذكر من أجل الاستيلاء على الحكم وانتزاعه من أيدي المرينيين⁴.

لقد كان للثورات دور عظيم وإيجابي في تكوين طائفة الغزاة بغرناطة⁵، حيث أثبتوا كفاءتهم في قتال العدو الظالم يدافعون عن غرناطة وبدأت هذه الطائفة في الظهور عندما أعلن أبناء إدريس المريني على السلطان أبي يوسف يعقوب في عام 661هـ/1262م، فاستطاع الانتصار عليهم وسمح لهم بالجواز إلى الأندلس وظل

¹ المرجع نفسه، ص 105.

² الحسين أسكان: الدولة والمجتمع، ص 21.

³ محمد الصلابي: دولة الموحيدين، ص 231.

⁴ محمد أحمد إسماعيل: ثورات العرب والبربر، ص 318.

⁵ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 303.

المرينيون يرسلون إلى الأندلس كل من يثور أو يتوقع ثورته والمطالبة بالملك فعملوا على إبعادهم من بلاد المغرب الأقصى حتى تستقيم أمور الدولة¹.

وإذ قد نجحت بعض الحركات في الاستقلال ببعض الأقاليم وأنشئوا إمارات مستقلة انظم إليها الكثيرين²، فقد احتفظت العامة بالاستقلال النسبي في شعورها وسلوكها تجاه مشاكل الحياة، فهي لم تذب في ظل الارستقراطية كما هو شأن الطبقة المتوسطة، ولما لم تكن تابعة لها، فقد كان لها دور مهم في الحياة السياسية، رغم أن هذا الدور في أغلب الأحيان لم يكن عن وعي، رغم أن سلوكها كان على العموم تلقائياً، ودون أهداف محددة، إنما كانت مندفعة إلى كل ما تقوم به بحاجتها إلى الوجود في الحياة³.

1 ابن أبي زرع: الأئیس المطرب، ص303.

2 محمود إسماعيل: المهمشون في التاريخ، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، ط1، 2004م، ص152.

3 عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1988، ص34.

الخاتمة

يتضح من خلال حيثيات البحث أنه منفصل إلى أربعة محاور، تضمنت نتائج شاملة وأخرى جزئية، هي في مجملها متمحصة عن وصف لواقع الحراك بالغرب الإسلامي، وما طرأ عليه من نتائج وتحولات، ساهمت في تغيير قرارات كان لها الأثر في تغيير الساحة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

حيث نستنتج أن الأسباب الأساسية إلى أدت إلى قيام هذه الانتفاضات سواء في بلاد المغرب أو الأندلس إنما هي راجعة إلى أسباب سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية، ولقد كانت هذه الانتفاضات في إطارها التاريخي هي صفحة لامعة في كفاح أهلها للمحافظة على حريتهم، وذلك في إطار سعيهم للاحتجاج على أنظمة الحكم الفاسدة الجائرة على الرعية، وقد اعتمدوا على الطريقة السلمية لإسقاط الأنظمة دون التطرق إلى العنف.

- إن اضطراب الأحوال السياسية من صراع على الحكم وضعف الحكام واستبداد الوزراء بأمور الحكم كان سببا في إشعال الانتفاضات ضد السلطة، وهذا ما نجده في الدولة المرينية حيث سيطر الوزراء على أمور الدولة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كل هذه الأسباب جعلت العامة تنمر على السلطة الحاكمة، ولعل مما كان له الأثر في تزايد وتعاضم الانتفاضات ضد السلطة انتشار ظاهرة اللهو والترف لدى الحكام، ضاربين مصالح شؤون دولتهم عرض الحائط، وهذا ما نجده لدى بعض حكام الفترة الوسيطية (العهد الموحي، المريني).

- إن فرض الضرائب وتعسف الجباة في جمعها، حتى أن كتب النوازل أشارت إلى ذلك، والسلوكات المشينة التي مارسها الولاة، ساهمت بشكل كبير في تدهور أحوال الرعية، مما أدى بالعامة إلى الخروج عن الطاعة والانضمام إلى الحركات المناهضة والتمرد على السلطة.

- إن تداخل المجتمع وفقدانه توازنه، ولعل ذلك راجع إلى الفارق بين الطبقات التي تمثلت في طبقية المجتمع، وهيمنة الطبقة الأولى الحاكمة على أمور الدولة على حساب الطبقات المستضعفة، انعكس على العامة بشكل كبير، فهي تعاني التهميش في جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى الظلم الاجتماعي الواقع على الرعية، وعن مدى أهمية هذه الانتفاضات في ظهور الصوفية.

- خلفت هذه الانتفاضات تأثيرا كبيرا وصدى واسعا في تاريخ العصر الوسيط، إذ أننا نجد أن بعض الانتفاضات قامت بإسقاط الدول، ولعل أبرزها الدولة المرينية التي انتهت وانهارت على يد الثوار، وكذلك الدولة الأغلبية والدولة الموحدية التي كانت الانتفاضات من بين الأسباب الرئيسي في سقوطها.

- ومن خلال الوقائع نستنتج كذلك أن هذه الانتفاضات التي قامت بالمغرب والأندلس غايتها نصرمة المظلومين وإعطاء الحقوق للرعية وإقامة دولة المساواة بحيث يتساوى فيها الجميع لا فرق بين سيد ولا مسود.

- رغم أنه قد تم القضاء على هذه الانتفاضات وإخمادها، وكان مصير كل من يتزعم الانتفاضة أو يعارض السلطة القتل والتكيد ليكون عبرة لغيره، إلا أن هذه الانتفاضات لها نجحت في تعرية النظم الحاكمة، وأرغمت الحكومات على التخفيف من حدة سياستها، بل قامت ببعض الإصلاحات والاستجابة والرضوخ بحيث قامت بتلبية بعض المطالب الهامة، كما حدث في العهد الأغربي "ثورة الدراهم" حين استجاب إبراهيم الثاني لمطالب رعيته، وكذلك إصلاحات يعقوب المنصور في العهد الموحيدي، حين قام بالضرب على أيدي المفسدين، وإنصاف المظلومين.

لقد كانت هذه الانتفاضات الشعبية والحركات الاجتماعية في إطارها التاريخي صفحة لامعة في نضال أهلها للمحافظة على حريتهم في إطار سلمي دون اللجوء إلى العنف، فقد كان أنصارها يتألفون من الطبقات الهشة كما عبر عنها الباحث إبراهيم القادري بوتشيش،

مما جعل العامة تتخبط في الثورة ومبايعة الثائرين على السلطة بهدف تحقيق العدل والامتناع عن الظلم والجور.

وقد أعادت هذه الانتفاضات في إطارها السلمي رسم المتغيرات في ظل حكم الدول؛ سواء من حيث سقوطها أو تموقع الساكنة كمؤثر فاعل قادر على إحداث التغيير خاصة إذا كان هذا الحراك منظما ومؤثرا يتبنى حقوق العامة، ويدافع عنها.

الورّاقية

القرآن الكرفم: (روافة ورش عن نافع).

أولاً- المصادر:

- ابن الأبار، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله القذافف البنفسف (ت658هـ/1260م): الحلة السفراف، فحقق: فسفن مؤنس، دار المعارف القاهرة-مصر، ط1، 1963، ج1.
- ابن الأفر، أبو الحسن الفف بن محمد شبافف الفزرف (ت630هـ/1233م): الكامل فف الفارفف، رافعه: محمد فوسف دقاق، درا الكفب العلمفة، بفرف-لبنان، ط1، 1987م، ج5.
- ابن الأحمر، أبو الولفد إسمافل بن فوسف الأنصارف (ت810هـ/1470م): روضة النسرفن فف دولة بني مرفن، فحقق: غ.بوعلف و ج.مارسفه، لاروز الكففن بارفس، 1917.
- ابن بلكفن، الأمفر عبد الله بن بلكفن الزفر (فف سنة 483هـ/1090م): الففان عن الفاففة الكائفة بدولة بني زفر فف غرناطة، نشره وحققه: لففف بروففسال، دار المعارف القاهرة-مصر، 1955م.
- البفذك، أبو بكر الفف الصنفافف (ت555هـ/1160م): أأبار المففف بن فومرف وبدافة الموحففن، دار المنصور للطباعة، الرباط-المغرب، 1971.
- الفوفر، أبو نصر إسمافل بن حماف (393هـ/1603م): الصأاف فف اللغة، فحقق: أأمد عبد غفور عطار، دار علم للملاففن، بفرف-لبنان، ط3، 1984م، ج1.
- الفمفر أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنفافف السبفف (ت727هـ/1327م): الروض المفطار فف أفر الأقطار، فحقق: إأساف عباس، مكتبة بفرف-لبنان، 1984م.

- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف الأموي القرطبي (ت469هـ/1076م): المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة-مصر، 1994م.
- ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي (ت776هـ/1375م): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط2، 1973.
- ابن خلدون، أبو زكرياء يحيى بن محمد الخضرمي (ت780هـ/1378م): بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: بوزيان الدراجي، دار الأمل، الجزائر، 2007م، ج2.
- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الخضرمي (ت808هـ/1405م): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت- لبنان، 2001م.
- المقدمة: اعتنى به صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض-السعودية.
- الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد التركماني الدمشقي (ت748هـ/1348م): سير أعلام النبلاء.
- الرقيق، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم القيرواني (ت420هـ/1029م): تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: محمد زينهم، دار الفرجاني، ط1، 1994م.
- الزبيدي، محمد مرتض الحسيني (ت1205هـ/1790م): تاج العروس من جواهر القاموس، سلسلة التراث العربي، تحقيق: أحمد عبد الستار فراج، مطبعة حكومية، الكويت، 1960م، ج3.
- ابن أبي زرع، أبو حسن علي ابن عبد الله الفاسي (حي سنة726هـ/1326م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فارس، دار المنصور، الرباط-المغرب، 1972م.

- الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط-المغرب، 1972م.
- الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (حي سنة 894هـ/1489م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966.
- ابن السماك، أبو القاسم محمد ابن أبي العلاء محمد: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتاب العلمية، بيروت-لبنان، ط2010، 1م.
- السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت 1315هـ/1827م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: وتعليق: ولدي المؤلف جعفر ومحمد، دار كتاب، الدار البيضاء-المغرب، 1997م، ج4.
- الصفدي، أبو الصفا خليل بن أبيك (ت 764هـ/1363م): الوافي بالوفيات، تحقي: أحمد أحمد الأناؤوط وتركي مصطفى، دار الأحياء، بيروت-لبنان، ط1، 2000م، ج3.
- الطوسي، أبو جعفر محمد بن حسين: التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير عاملي، دار إحياء تراث العربي، بيروت-لبنان، ج9.
- ابن عاصم، أبو بكر محمد بن محمد الغرناطي (ت 829هـ/1426م): حقائق الأزهر، حققه وقدم له أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1292.
- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم.
- عبد الواحد المراكشي، أبو محمد بن علي التميمي (ت 647هـ/1249م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية صيدا-لبنان، ط1، 2006م.
- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (حي سنة 712هـ/1312م):
- البيان المغربي في أخبار الأندلس والمغرب:
- الأجزاء الثلاثة الأولى: تحقيق: كولان وبروفنسال، ط3، بيروت، دار الثقافة، 1983.

- الجزء الرابع: قسم المرابطين، تحقيق: إحسان عباس، ط3، بيروت: دار الثقافة، 1983.
- القسم الخاص بالموحدين، وتحقيق: محمد إبراهيم الكتابي وآخرون: بيروت، دار الغرب الإسلامي 1985.
- أبو العرب، محمد بن أحمد التميمي القيرواني (ت333هـ/945م): طبقات علماء إفريقية وتونس، دار كتاب اللبناني-بيروت-لبنان.
- عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي السبتي (ت544هـ/1149م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: القادري الصحراوي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ط3، 1983، ج4.
- ابن غازي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الكتامي المكناسي (ت919هـ/1513م): الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط-المغرب، ط2، 1988م.
- الفيروز أبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي (ت817هـ/1414م): القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث: محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة.
- ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت1025هـ/1616م): جذوة الاقتباس فيمن حل من الإعلام مدينة فاس.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي لقزاري المصري (ت821هـ/1476م): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ط2، 1980م.
- الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم: مجدي سعيد، دار الكتاب المصري، القاهرة-مصر، 2011م.

- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي (ت450هـ/1058م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1994، 2م.
- مجهول (حي سنة 783هـ/1381م): الحل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء-المغرب، 1979م.
- مقديش، أبو الثنا محمود بن سعيد الصفاقسي (ت1228هـ/1813م): نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: الزاوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1988م.
- المقري، أبو العباس أحمد بن محمد القرشي التلمساني (ت1041هـ/1632م): نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان، 1968م، ج4.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثم المصري (ت711هـ/1311م): لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير والآخرين، دار المعارف، القاهرة-مصر.
- النويري، أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب التيمي القوصي (ت732هـ/1332م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترجيني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2004م، ج2.
- الوزان، أبو علي الحسن بن محمد الفاسي (حي سنة 957هـ/1550م): وصف إفريقيا، نقله عن النسخة الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، الشركة المغربية للنشائين المتحدثين، الرباط، ط2، 1983م.

– الونشريسي، أبو العبا أحمد بن يحيى التلمساني (ت914هـ/1508م): المعيار المعرب والجامع المقرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج5.

ثانيا - المراجع:

1- الكتب:

- أرسلان، شكيب: خلاصة تاريخ الأندلس، مطبعة المنار، مصر، 1925م.
- أسكان، الحسين: الدولة والمجتمع في العصر الموحي (518-668هـ/1125م-1270م) منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، المغرب، 2002م.
- إسماعيل، محمد أحمد: ثورات العرب والبربر واليهود في المغرب الأقصى والأندلس في عهد دولة بني مرين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، ط1، 2008
- إسماعيل، محمود: الأغلبة (184-296هـ) سياستهم الخارجية عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000م.
- المهمشون في التاريخ، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، ط1، 2004م.
- الأقداحي، هشام محمود: الحراك السياسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية - مصر، 2018م.
- أنخل، جنثالث بالنشيا: تاريخ الفكر الأندلسي، نقله: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.
- بوتشيش، القادري إبراهيم: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت - لبنان، 1967م.
- المهمشون في الغرب الإسلامي، دار الرؤية، القاهرة-مصر، 2014م.

- بولطيف، لخضر: فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، دار الصديق، الجزائر، 2015م.
- بولقطيب، الحسين: جوائح وأوبئة المغرب في العهد الموحدين، منشورات الزمن، الرباط – المغرب، 2002م.
- تيتاو، حميد: الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، دار البيضاء، بيروت – لبنان، 2010م.
- تيزيني، الطيب: مشروع جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط، دار دمشق، سوريا، ط5.
- حركات، إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء – المغرب، ج1.
- دندش، عصمت عبد الطيف: الأندلس في بداية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني (510-546هـ/1116-1151م): تاريخ سياسي وحضاري، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط1، 1988م.
- سالم، عبد العزيز: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية – مصر، 1999م.
- السيد، مصطفى كمال: تاريخ الأندلس الاقتصادي عصري المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب.
- رية، عطا علي محمد شحاتة: اليهود في بلاد المغرب الأقصى في العهد المرينيين والوطاسيين، دار الحكمة، دمشق – سوريا، ط1، 1999م.
- زيتون، محمد محمد: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة – مصر، 1988م.
- شريط، عبد الله: نظرية التطور عند ابن خلدون، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1980م.

- الصلابي، محمد علي: صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، دار البيارق، عمان-الأردن، 1998م .
- الطالب، محمد: الدولة الأغلبية التاريخ السياسي (184-296هـ/800-909م)، مراجعة: حمادي الساحلي، تعريب: المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1985م.
- عبد الكريم، يوسف جودت: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون-الجزائر.
- عنان، محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط4، 1997م .
- فتحة، محمد: النوازل الفقهية والمجتمع، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء – المغرب، 1999م .
- فكري، أحمد: قرطبة في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية-مصر، 1983م.
- فيلالي، عبد العزيز: المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس، دار المعارف التونسية، 1991م .
- لقبال، موسي: المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج ، سياسة ونظم، الشركة الوطنية، الجزائر، ط2، 1981م.
- لواتي، دلال: عامة القيروان في عصر الأغالبة، دار الرؤية، القاهرة -مصر، ط1، 2015م.
- مكي، الطاهر أحمد: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط3، 1987م.
- المغراوي، محمد: الموحدون وأزمات المجتمع، جذور للنشر، الرباط -المغرب.

– موسى، عز الدين: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، بيروت-لبنان، ط1، 1983م.

– مؤنس، حسين: موسوعة تاريخ الأندلس، فكر وحضارة وتراث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، ط1، 1996م، ج1.

2-الدوريات:

– أحمد، علي: "اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى"، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، العدد: 58/57، 1996م.

– تيتاو، حميد: "الدولة والعنف في تاريخ المغرب الوسيط"، مجلة الأمل، الدار البيضاء، العدد 33، 2018م.

– فنون، محمد: "الطبقات الاجتماعية ومفهوم الشعب"، مجلة دنيا الوطن، 2013م.

3-الرسائل الجامعية:

– بوضياف، سعدي ومرزوقي، سارة: "الثورات في الأندلس ضد الحكم المرابطين (507-541هـ/1113-1146م)"، ماستر، جامعة المسيلة، الجزائر، 2017م.

– جبوده، مريم محمد عبد الله: "التجارة في بلاد افريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحيدي والحفصي (555-980هـ/1160-1572م): دكتوراه، جامعة الزقازيق، مصر، 2008م.

– سلطاني، عبد القادر: "مظاهر التجديد الفقهي عند القاضي أبي بكر ابن العربي"، دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 2017-2018.

– صديقي، عبد الجبار: "سقوط الدولة الموحدية -دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات-"، ماجستير، جامعة تلمسان، الجزائر، 2013-2014م.

- عدالة، ملكة: "عامة الأندلس فف العصر الموحفف"، فكتوراه، جامعة وهران، الفزائر، 2018م.
- كراز، فوزفة: "عامة المغرب الأوسط فف ظل السلطة الموحففة"، فكتوراه، جامعة وهران، الفزائر، 2018م.
- المومنف، محمد خالد مصطفف: "الفقهاء وثوراة أهل الربض فف الأندلس"، فكتوراه، الجامعة الأردنية، 1990م.

الكشافات

1- كشاف الآيات القرآنية:

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	البقرة	251	41
﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾	الأعراف	34	154
﴿وَذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلُ تُثَمُّهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ وَكَذَلِكَ إِذْ أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدٌ﴾	هود	102-100	233
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾	هود	117	234
﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾	الحجرات	13	517
﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾	المرسلات	30	581

2- كشاف الأعلام البشرية:

- إسماعيل ابن النغيلة: 96	-أ-
- الآشل: 78-79-80-124	- إبراهيم بن أحمد: 52-66-73-77-
-ب-	- إبراهيم ابن الأغلب: 48-66-68-
- باديس: 95-96-99-100	-73_69
- بلقين ابن باديس: 97	- إبراهيم الثاني: 37-75-116
-ت-	- ابن العريف: 58
- تيان: 86	- أبو إسحاق الألبيري الأندلسي: 98-99
-ج-	- أبو زكريا: 80
- الجزيري: 104-105-106-107-	- أبو عبد الله بن الفخار المالقي: 121-
108-109	122 (ت 10)
- جعفر أحمد بن معتب: 77	- أبو عمر الشاطبي: 122
- الجوطي: 129-	- أبو بكر ابن العربي: 101-102-
-ح-	- أبو حفص عمر بن عيسى
- حبوس: 95-96	البلوطي: 93
- الحسن ابن حرب الكندي: 66-	- أبو سالم: 39-
- الحسين اليهودي: 83-	- أبو عبد الله إسحاق: 77
- الحكم الربضي بن هشام: 89	- أبو يعزي: 58-
	- أبو يوسف يعقوب: 135

134	- حمزة بن السباك: 69
- عبد الله الشيعي: 44-	- حمو بن عبد الله: 39
- عبد المؤمن بن علي: 36-109	-خ-
- عتاب: 58-	- خريش: 66-67-69-70-75-77-
- علي بن أبي طالب: 67-	117-78
- علي بن تاشفين: 101-102	- خفاجة بن سفيان: 73-74
- عمران بن مجالد: 69	-ز-
- عمر بن سليم التجيني: 70-	- زيادة الله الثالث: 40-
- عيسى ابن دينار: 90	- زيري بن مناد الصنهاجي: 95
-ق-	-س-
- القويبع: 70-71-73-74-	- سحنون: 71-72-73-74-
-م-	-ش-
مالك بن يزيد بن يحيى التجيني: 90	- الشريف عبد الله: 85
محمد ابن الأغلب: 70_71-73-74-	-ط-
محمد بن موسى: 74-	- طالوت: 90
المعتصم بن صمادخ: 99	-ع-
المهدي بن تومرت: 105-107	- عبد الحق بن أبي سعيد بن أبي
موسى بن سالم الخولاني: 73-90	العباس: 84
	- عبد الحق المريني: 27-53-83-

ميسرة المطغري: 42-

-ن-

نصر بن الصمصامة: 77

الناية: 98

الناصر بن عبد المؤمن: 109

-ي-

يحي ابن مضر القسي: 90

يوسف ابن النغيلة: 96-99-100

يعقوب المنصور: 109-106-118-

120-121

يوسف المستنصر: 39-

يزيد مخلد بن كداد: 45-

-ه-

هارون اليهودي: 53-82-85

3- كشاف القبائل والشعوب:

-أ-	الإدرسية: 87
-ب-	الأغلبية: 39-66-118
-ج-	أصاد: 29_
-د-	بنو الأغلب: 37_66-
-هـ-	بنو أمية: 44-66_89
-و-	بنو تميم: 70_
-ز-	بنو سمغرة: 29-
-ح-	بنو العباس: 68-69-119
-ط-	بنو مرين: 38-82-83-86-87-134
-ث-	بنو الشاوية: 28-
-ت-	تكرارت: 129
-ث-	الحسينيين: 83-84
-ج-	الحنفي: 43-44-
-خ-	البربر: 66-67-97
-د-	بغداد: 66-67
-هـ-	الخوارج: 43-44-
-و-	دغاغ: 29-
-ز-	ربض: 89-93-95
-ح-	الوطاس: 85-135
-ط-	بن مرين: 38-82-83-86-87-134
-ث-	الشاوية: 28-

الشعية: 44-	ك-
ص-	الكتامية: 29_44
الصفري: 43_	كنة: 66-70
صنهاجة: 98-99	ل-
ع-	لمتونة: 40-128
العباسيين: 66-68	لجوط: 129
العجم: 25-	م-
عدنان: 28-	المالكي: 43-44-45
العرب: 25-28-66-67-78-79-	المرابطين: 36-100-101-128-
95-85-83	123-129
العلويين: 69-	المرينية: 57-58-82-83-134
ف-	المسلمين: 53-82-83-84-95-98-
الفاطمية: 44-45_	102-
ق-	مسوفة: 40-
قحطان: 28-	مصمودة: 29-

	مضر: 24-41-
	ملوك الطوائف: 92
	الموحدية: 36-37_48-49-50-78-
	80-97-102-104-105-108-
	124-127-119-129-134-
	-هـ-
	اليهود: 53-57-58_82_83-97
	اليمنية: 41-
	-و-
	الوطاسين: 135

4- كشاف الأماكن والبلدان:

-ر- ربض شقندة: 92 رقادة: 77 -ز- الزاب: 126-80-79 -ط- طليطلة: 93- طنجة: 85- -غ- غرناطة: 135-100-99-97 -ف- فاس: 103-86-85-69-69-27 125-106 -ق- قرطبة: 103-92-90-89-74-87-60 قسنطينة: 126 القيروان: 77-76-75/47-70-48-	-أ- الإسكندرية: 125-93 إشبيلية: 102 إفريقية: 77-68_50 ألمرينية: 99 الأندلس: 135-128-107-97-60-40 -ب- بجاية: 126-80 بسطة: 108 بسكرة: 126 بغداد: 66-48 -ت- تازا: 85 تدنست: 53- تاكرارت: 129 تونس: 74-73_70_69-66 -ج- جزيرة إفريدش: 93 جنوب قرطبة: 92
--	---

	87-78
	-ل-
	ليبيا: 29_
	لمتونة: 40-128
	-ن-
	نوميديا: 29-
	-م-
	مراكش: 50-105-109-127
	مصر: 48-
	المغرب: 41-42-45-60-78-80-
	87-93-128-133-134
	المغرب الأقصى: 135-
	المنصورة: 80
	مكناسة: 86-129

فهرس المحتوى

المقدمة.....	(10-1)
الفصل التمهيدي: الحراك الشعبي.. مفاهيم وعلائق	(18-11)
أولاً: الحراك الشعبي في المعجم اللغوي	13
ثانياً: الحراك الشعبي في المدونة التراثية	15
الفصل الأول: بواعث الحراك الشعبي.....	(40-19)
أولاً: البواعث السياسية والمذهبية	21
ثانياً: البواعث الاقتصادية والاجتماعية	30
الفصل الثاني: تجليات الحراك الشعبي	(69-41)
أولاً: في بلاد المغرب	44
ثانياً: في بلاد الأندلس	57
الفصل الثالث: تداعيات الحراك الشعبي	(87-70)
أولاً: تداعيات قريبة المدى	74
ثانياً: تداعيات بعيدة المدى	83
الخاتمة.....	88
الوراقية.....	92
الكشافات.....	103
فهرس المحتوى	113

الحمد لله